

إليكم مادار بيني وبينه منذ أيام :

دخلت عليه وفي مجلسه رجلان نسيت اسمهما مع الأسف ، ولعل أولهما يسمى رفعت

وابتدأ فسألني عن الليسيه الفرنسية المصرية بمصر الجديدة ، فقلت إن مديرها هو المسيو دى كومنين ، أعظم أصدقائي في دنياي ، فاستطرد وقال : وما رأيك في ذلك المعهد بعد أن زرته مرتين ؟ فقلت : إن الغاية نبيلة ولكن تحقيقها صعب ، لأن هذا الرجل ، يريد أن يصل تلاميذه إلى البكالوريا المصرية والبكالوريا الفرنسية في وقت واحد

ثم انتقلنا بسرعة إلى الأصول التي يجب أن يراعيها أساتذة اللغة العربية في المدارس الأجنبية . فقلت إن الخطر كل الخطر أن يفهم تلاميذ تلك المدارس أن عندنا لغتين ، الفصيحة والعامية ، فهذا الفهم الخاطيء يشعر التلاميذ بأن اللغة الفصيحة لغة ميتة وأن مكانها يشبه مكان اللاتينية بالنسبة إلى الفرنسية والايطالية

وهنا يحسن أن نسجل ما اتفقنا عليه في ذلك الحوار الطريف

اتفقنا على أن التلميذ إذا كتب « محطة باب الحديد » فليس من واجب المدرس أن يشطب كلمة « محطة » ويضع مكانها كلمة « محط » بحجة أن هذا هو اللفظ المختار في كتب المطالعة المدرسية

وإذا كتب التلميذ « بائع متجول » فليس من حق المصحح أن يشطب كلمة « متجول » ويضع مكانها كلمة « جائل »

والتلاميذ جميعاً يقولون « قط » بضم القاف كما يقع على ألسنة الناس في أكثر البلاد العربية ، فليس من الحتم أن نصحح هذه الكلمة كل يوم وأن ننص على أنها بالكسر ، لأن سيرورتها مضمومة تشهد بأن الضم لغة من اللغات وإن لم تنص المعاجم على ذلك

وإذا قال التلميذ « فرشة » فليس من الواجب أن نفرض عليه أن يقول « فرجون » لأن الفرشة ذاتها مخففة من الفرجون

وإذا قال التلميذ « أجفف وجهي بالفوطة » فلا تفرض عليه أن يقول « القطيلة » لأن الكلمة الأخيرة مهجورة ومنسية وثقيلة ، ولا كذلك الكلمة الأولى فهي مأنوسة ومألوفة لجميع الناس .

وإذا قال التلميذ جلست على « السفرة » فلا تحتم عليه أن يقول « المائدة » لأن السفرة كلمة فصيحة وإن كان العرف نقلها من وضع إلى وضع .

وإذا قال التلميذ « الليالي القمراء » فلا تلزمه بأن يقول « الليالي القُمر » لأن الكتاب في العصر الحديث تسامحوا في هذه القضية ، ولأن أسئلة الامتحان بوزارة المعارف جاء فيها مرة كلمة « الليالي القمراء » ولأن للشيخ النجار كتاباً اسمه « الأيام الحمراء » ولأننا نستثقل عبارة « الحدائق الغُنّ » ونستخف عبارة « الحدائق الغناء »

وإذا قال التلميذ « خَطوة » بالفتح فلا توجب عليه أن ينطقها بالضم ، لأن الفتح لغيَّة وهو اليوم أسهل وأفصح

وإذا سكن التلميذ بعض أواخر الكلمات فلا تفرض عليه أن يراعي التحريك في كل وقت ، إلا إذا كان يهمك أن تختبره في الاعراب ، لأن من المستبعد جداً أن يكون العرب التزموا الاعراب في جميع المواطن ، وهم قد نصوا على أنه يجوز نصب الفاعل ورفع المفعول عند أمن اللبس ، ومعنى ذلك أن الاعراب لا يطلب إلا لتحديد المعاني .

وأغلبُ الظن أن العرب لم يلتزموا الاعراب إلا في موطنين اثنين : الشعر والقرآن .

وإنما التزموا الاعراب في الشعر لمراعاة الوزن ، والتزموه في القرآن لأن القرآن نظم نظماً غنائيا فهو في أغلب أحواله كلام موزون روعي في وزنه أن يصلح للترنم والترتيل

واتفقنا على أن اللغة العربية ليست بدعاً بين اللغات ، فالتعبير بها يختلف باختلاف أقدار المخاطبين ؛ والمدرس الحق هو الذي يفرق بين ما يعبر به وهو يلقي درساً في مدرسة أولية ، وما يعبر به وهو يلقي درساً في مدرسة ثانوية ؛ والمدرس الغافل هو الذي يتكلم بطريقة واحدة في جميع الفصول

واتفقنا على أن أساليب التعليم لا يجب أن تكون واحدة في جميع المدارس ، وإنما يجب أن نراعي مقتضيات الأحوال فنسلك في المدارس الأجنبية غير ما نسلك في المدارس المصرية

وأصول التربية نفسها توجب ذلك . إنها توجب أن تخاطب كل تلميذ بأسلوب خاص بعد أن تدرس نفسه حق الدرس ، لأن الناس يختلفون في العقول كما يختلفون في الوجوه . وهذا لا يمنع من أن تكون هناك سياسة عامة يعامل بها جميع التلاميذ

واتفقنا على أن مدرس اللغة العربية يحق له أن يكون أقرب الأساتذة إلى قلوب الطلاب ، لأن عنده فرصاً لا تتاح لسواه ، إذ كان يقدر بلباقته أن يجد في دروس المطالعة والمحفوظات

والأدب مجالاً لمحادثة الطلبة فى معان كثيرة تتصل بالعقل والقلب والوجدان

ومدرس اللغة العربية يستطيع إذا كان من أصحاب المواهب أن يضع فى صدور تلاميذه بذور الشوق إلى المشاركة الجدية فى الحياة الأدبية والفنية والاجتماعية . وفى مقدوره إن أخلص لواجبه أن يدفع تلاميذه دفعاً إلى رحاب الواجب فى خدمة الوطن الغالى . وهو يستطيع أن يخلق منهم رجالاً يفرقون بين المعانى الوطنية والمعانى الانسانية بحيث يصبحون فيما بعد من دعائم الحياة القومية

مدرس اللغة العربيـة مسئول قبل سواه عن خلق الروح المعنوى فى المدارس لأنه يملك التعبير الجميل ، ولأنه ارتاض على سياسة القول ، ولأن لديه فرصاً كثيرة يستطيع بها توجيه التلاميذ إلى شريف الأغراض وكريم المعانى

* * *

ثم انتقلنا إلى موضوع شائك هو تحديد الفروق بين المدارس المصرية والمدارس الأجنبية

والظاهر أنى أحب المدارس الأجنبية حبا يجعل ذنوبها حسنات ، وقد فصلت رأيى فى حضرة رجا بك وارتضاه ، فما هو ذلك الرأى ؟

من بين أبنائى ثلاثة يتعلمون بمعهد الليسيه فى مصر الجديدة . وهؤلاء الأبناء الثلاثة يختلفون عن أخيهم الأكبر الذى يتعلم فى مدرسة مصرية . فأخوهم الأكبر يأخذ مصروفه على أسلوب رتيب لا يتغير ولا يتبـدل ؟ أما أولئك الثلاثة فيزعجون المنزل بالمطالب المتنوعة فى كل يوم ، وقد قاست أمهم ما قاست حين كنت بالعراق، فلما اختبرتُ الأمر بنفسى ضِـقْتُ به ذرعاً لأول وهلة؛ ثم تبينت أن تلك المطالب المتنوعة هى شواهد الحيوية فى الحياة المدرسية ، فالتلميذ لا يجد الفرصة ليهدأ ويسكن ، وإنما يشعر بالمسئولية تتجدد أمامه فى كل لحظة ، فهو اليوم فى حاجة إلى كتاب ، وكان بالأمس فى حاجة إلى كراس ، وهو غداً فى حاجة إلى ثوب جديد للحفلات ، وهو بعد شهر سيقدم إلى المدرسة ديناراً للاشتراك فى رحلة مدرسية ، إلى آخر ما لا آخر له من موجبات اليقظة فى المدارس الأجنبية

أقول إن هذه المطالب راعتنى لأول وهلة ، ثم رأيت أن هؤلاء الأبناء حالهم أحسن من حال أبيهم ، الأب المسكين الذى يخترق شوارع القاهرة فى كل يوم ولا يراها ، لأنه لا يمتطى تراماً أو سيارة إلا وهو مشغول بمطالعة الجرائد والمجلات أو مراجعة بعض الأوراق

أرونى على حق فى استحسان هذا المذهب فى التثقيف ؟

إن كنت مخطئاً فاعذرونى لأن اتصالى بالأجانب حبّب إلىّ الحركة وزهدنى فى السكون :

هل تصدقون أنني لا أستريح إلى الدعوة التى تكررها الجرائد فى الصبح والظهر والمساء ، الدعوة إلى الوفاق والاتحاد والائتلاف ؟

هل تصدقون أنى أعتقد أننا نختلف أقل مما يجب ، وأنه ينبغى ألا نعرف غير النضال والصيال ؟

هل تصدقون أن التجارب علمتنى أن الراحة نذير الموت ؟

هل تصدقون أنى نفرت من منزل جميل في باريس لأن أصحابه كتبوا على بابه عبارة تشير إلى أنه معروف بالهدوء ؟

هل تصدقون أنى لم أسترح فى بغداد إلا حين اهتديت إلى منزل محيط به الضوضاء ؟

الحق أن مزاجى أفسدته المدنية الحديثة فساداً لا يرجى له صلاح

ولكن هذه هى المدنية ، وهذا هو عقل العصر الحديث ، وأنتم تطلبون أن نروضكم على التخلق بأخلاق العصر الحديث

* * *

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم انتقلنا إلى تعليم البنات فعرفنا بعد الأخذ والرد أن البنت فى المدرسة المصرية تقتل قتلا بالدروس ، فلا تستطيع أن تكون بهجة البيت فى المساء

والواقع أننا كنا أخطأنا فى تقـدير مناهج التعليم بمدارس البنات، فقد كانت البكالوريا واحدة للبنات والبنين مع أن المزاج يختلف بين النوعين أشد الاختلاف

وقد لوحظ أن البنات فى المدارس الأجنبيـة يعاملن معاملة تقوم على أساس العطف والرفق ، والمفهوم عند الأجانب أن البنت إنما تتعلم لتصلح تمام الصلاحية لتكون ربة بيت .

ولوحظ أيضاً أن مديرات المدارس الأجنبية يحاولن أن يعرفن كيف تعيش العائلات التى تجىء منها التلميذات ليستطعن تلوين الحياة المدرسية بألوان مختلفات

وهـذا شىء قد لا تعرفه المدارس المصرية لأن الصلات قد تكون مقطوعة بين المدرسة والبيت

والظاهر أنى لا أزال أستجيد الوصف الذى أطلقته على مدارسنا منذ أكثر من عشر سنين حين سميتها «مجازز بشرية» فنظام هذه المدارس لا يتيح فرصة للتعمق ، وإنما يلهى الطلبة بالقشور لكثرة ما يعرض عليهم من العلوم والفنون

وسيجيء يوم يعرف فيه الناس أن أسلافنا كانوا أبصر منا بالمذاهب التعليمية لأنهم كانوا يعرضون على الطالب علوما قليلة ثم يفرضون عليه أن يتعمق

ولو شئت لقلت إن المدارس الفرنسية تريح التلاميذ من الدروس يومين كاملين ، ومع ذلك لم يقل أحد بأن الفرنسيين تخلفوا فى الميادين العلمية

ولو شئت لقلت إن الامتحانات عندنا لا تزال جائرة الميزان، فليس من المعقول أن يكون تلاميذنا من الضعف والجهل بالمنزلة التى توجب ألا ينجح من كل مئة غير عشرين أو ثلاثين

وهناك مجموعة يعرفها جميع المعلمين ، وهى مجموعة الأسئلة الخاصة بالامتحانات العمومية ، ونظرة واحدة إلى تلك المجموعة تشعر المنصف بأن المتحنين لا يرون التيسير من الأمور ذوات البال ، والأساتذة أنفسهم يحتاجون إلى تأمل يسير حين ينظرون إلى الأسئلة المسطورة فى تلك المجموعة ، فكيف يصنع التلاميذ وبينهم وبين أساتذتهم من الفروق ما تعرفون ؟

ولو شئت لقلت إن أسئلة الامتحانات العمومية يضعها رجال مكدودون من بين المفتشين والمراقبين ، والعقل يفرض أن يتفرغ لوضعها جماعة من الأساتذة ينقطعون إليها أسبوعاً أو أسبوعين حتى تسلم من العنت والارهاق

أحب أن يشعر التلميذ المتوسط بأن من حقه أن ينجح . أحب أن يشعر التلميذ الضعيف بأنه قد ينجح إذا ضاعف من نشاطه وبذل ما يملك من العافية فى الاستعداد للامتحان

ولكن هذه آمال لا تتحق إلا إذا غير المتحنون ما بأنفسهم فعرفوا أن الشهرة بالشدة والعنف مطلب سخيف .

ثم ماذا ؟

ثم تحدثنا عن الصلة بين المدرسة والبيت ، واتفقنا على أن الواقع أننا نتكلم ولا نفعل

وأين المدرس الذى يجد من الوقت مايزور فيه بيوت التلاميذ؟

وأين الناظر الذى يجد فى جيبه ما يسعفه بأن يقيم للتلاميذ وآبائهم حفلة أو حفلتين ؟

لقد حاولت ذلك بنفسى ثم عجزت ، لأنى كنت أخرج من المدرسة مكدوداً لا أصلح لشىء

ولو شئت لصرحت بأن المدرسين يعجزون عن متابعة النشاط المدرسي ، لأن المناهج لا تقيم له أى ميزان ، وهو سخرة يقوم بها المدرسون بلا جزاء

* * *

أما بعد فهذه صورة لساعة لطيفة قضيتها مع الأستاذ رخا بك . فان أعجبته هذه الصورة فذلك ما أرجوه ، وإن رآنى أذعت ما لا ينبغى أن يذاع فليعرف أن هذا مذهبى ، وعليه أن يعقل لسانه حين يرانى

يا مصر

إنك تستعدين لأخطار عظيمة فى بناء الجيل الجديد ، فاعرفى ما تأخذين وما تدعين ، واحذرى أن يعتقد أبناؤك الأوفياء ، أنهم لا ينالون منك حسن الجزاء

وأنتم أيها المدرسون

ثقوا بأن واجبكم الأول هو التغلب على المصاعب ، المصاعب التى تواجهكم فى الحياة الماشية والحياة المدرسية ، واعرفوا أن الاخلاص للواجب هو الكفيل بأن يرفع عن كواهلكم أثقال العيش وأعباء التعليم

إن التدريس مهنة لا يعرف فيها الراحة إلا من يتعب نفسه فى تأدية الواجب ، ولا يشقى فى هذه المهنة إلا من يؤديها بتهاون واستخفاف

إن العناية التى تبذلونها فى إلقاء الدروس تعدى تلاميذكم بالجد والنشاط ، وتروضهم على النظام ، وتغريهم بحب التفهم لما يسمعون وما يقرأون

وأنتم القدوة الصحيحة للتلاميذ ، فاحذروا أن تمدوهم بالضجر واليأس . وتذكروا دائماً أن المدرس المنشرح الصدر ، المبتهج النفس ، هو وحده الذى يقدر على جعل المدرسة أحب إلى التلميذ من كل مكان

إن فى الدنيا متاعب كثيرة تنتظر رجال الغد من تلاميذكم ، فأعطوهم من ذخائر الأمل والبهجة ما يدفعون به متاعب الحياة فى الأيام المقبلات . والله بالتوفيق كفيل .

مصر الجديدة — زكى مبارك

كتاب المبشرين
من اغلاطه في العربية
لأستاذ جليل

(بقية المقال السادس)

٣٢ — فى الصفحة (٣٣٠) : مضطر على أفعاله

قلت : اضطر على كذا خطأ والصواب اضطر إلى كذا « ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار » « وقد فصل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » وفى الجمهرة : والضرورة والضارورة واحد وهو الاضطرار إلى الشئ ، ومثل هذه التعدية في كلامهم وفى كتب اللغة . وفى كتاب الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى هذه الفائدة: ولهذا المعنى قال المحققون من أهل العربية إن حروف الجر لا تتعاقب حتى قال ابن درستويه : (فى جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة ، وإفساد الحكمة فيها ، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس) وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها ، ووقع كل واحد منهما بمعنى الآخر فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد ، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعانى . ولعل قائلا يقول : إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد — ردّ على جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا : هو العقل ، أو الجرح قالوا: هو الكسب، أو السكب قالوا : هو الصب ، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء ، وكذلك الجرح والكسب، والسكب والصب، وما أشبه ذلك. قلنا ونحن أيضاً كذلك نقول ، إلا أنا نذهب إلى أن قولنا اللب وإن كان هو العقل فانه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل . ومثل ذلك القول وإن كان هو الكلام والكلام هو القول فان كل واحد منهما يفيد بخلاف ما يفيده الآخر ، وكذلك جميع ما فى هذا الباب

٣٣ — فى الصفحة (٣٢٩) : فى كل محرس من الليل

قلت : إن كان المراد الحرس فالحرس الدهر أو وقت من الدهر دون الحقب(١) . والذى يقال فى هذا المقام هو الجرس أو الجرش ، ففى تهذيب الألفاظ لابن السكيت : مضى جرش وجرس من الليل ، وفى الصحاح : أي طائفة منه ، وفى المخصص مضى جرش من الليل والجمع جروش وأجراش ، وقد يقال بالسين وفى اللسان : وقد يقال بالشين ، وفى التاج : أتيته بعد جرش من الليل — مثلثة — ما بين أوله إلى ثلثه وقيل هو ساعة منه ، والسين لغة ، قال أبو زيد : مضى جرش من الليل أى هَوِىّ (أى هزيع من الليل أى طائفة منه ...)

٣٤ — فى الصفحة (٨٠) : ثم حسن لخديجة وهى أرملة ذات شرف ونسب أن تتخذه فيخرج فى تجارتها

قلت : فى كلام العرب وأكثر كتب اللغة: الأرملة التى مات زوجها وهي فقيرة . قال المصباح قال الأزهرى : لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فاذا كانت موسرة فليست بأرملة . وفى الأساس : وأرملت ورملت(٢) من زوجها ولا يكون إلا مع الحاجة . وفى اللسان والتاج ، قال ابن الانبارى : سميت أرملة لذهاب زادها وفقدها كاسبها ومن كان عيشها صالحاً به ، ولا يقال إذا ماتت امرأته أرمل إلا فى شذوذ لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيمة عليه ... والرجل قيم عليها ، وتلزمه مؤنتها ولا يلزمه شيء من ذلك . وفى القصيدة الطويلة — كما يسميها أديبنا الكبير الأستاذ الردمى — المنسوبة إلى أبى طالب فى مدح سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل

وأنشد ابن بري :

ليبك على ملحان ضيف مدفّع وأرملة تزجي مع الليل أرملا(٣)

٣٥ — فى الصفحة (١٣٢) : وقد تكرم عليه فى آخر سنة من عمره بأن متعه بالنظر إليه

---

(١) الحقب هنا ثمانون سنة أو أقل من ذلك وهو بضم الأول والثانى وبضم الأول وسكون الثانى

(٢) قال : وهو من الرمل كأدقع من الدقعاء

(٣) لم يذكر المخصص فى فصل (نعوت النساء مع أزواجهن) الأرملة وذكر الأيم والعزبة : فلانة أيم — بتشديد الياء — وقد آمت من زوجها وتأيمت ، والعزبة التى لا زوج لها وامرأة عزبة وعزب بغير هاء وصفت بالمصدر . وقال فى باب (ذهاب المال ونفاده) : يقال للرجل ولولده إذا كانوا محتاجين هم أرملة وأرامل وأرملة ورجل أرمل

قلت : تكرم عليه خطأ ، والتكرم تكلف الكرم ، وتكرم تكلف الكرم قال المتلمس :

تكرم لتعتاد الجميل ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرما

وتكرم عن كذا أي تنزه عنه وترفع . قال أبو حية :

ألم تعلمي أني إذا النفس أشرفت على طمع لم أنس أن أتكرما

ولم يجيء في كلام العرب ولا في معجمات الألفاظ ولا في معجمات المعاني تكرم عليه بمعنى أفضل عليه ، تفضل عليه ، أجدى عليه ، من عليه ، تطول عليه ، تندى عليه ، تسخى عليه ، أسدى إليه ؛ يدى عليه ، أيدى عليه ، أنعم عليه

٣٦ — في الصفحة (٣٩٦) : أما الوعد فانه عرف من شدة انهما كهم على الملاذ الشهوانية

قلت : لا يقال في العربية انهمك على الشيء بل انهمك فيه. ففي حديث خالد بن الوليد (رضي الله عنه) أن الناس انهمكوا في الخمر . وفي الصحاح : انهمك الرجل في الأمر أي جد ولج ، وكذلك تهمك في الأمر . وفي الأساس: انهمك في الباطل وفلان منهمك في الغي . ومثل هذه التعدية في الجمهرة والنهاية واللسان والمصباح والتاج والمعجمات العصرية . والملاذ في اللغة جمع ملذ وهو موضع اللذة . وفي الفائق : النبي صلى الله عليه وسلم : إذا ركب أحدكم الدابة فليحملها على ملاذها : أي ليسرها في المواضع التي تستلذ السير فيها من المواطىء السهلة غير الحزنة والمستوية غير المتعادية[1] والشهوانية نسبة إلى الشهوان أو الشهواني وهو شديد الشهوة ومنه قول رابعة : ياشهواني . والشهوة اشتياق النفس إلى الشيء كما في المصباح ، أو نزوع النفس إلى ما تريده كما في مفردات الراغب . فماذا يعني كتاب المبشرين بكلامه الطمطماني ؟

٣٧ — في الصفحة (٣٤٠) : قال الغزالي قد انتهى قوم في الشطح (لعله يريد الشطط) والدعاوى المريضة إلى دعوى الاتحاد بالله وارتفاع الحجاب .

قلت : لا يريد الشطط بل يريد الشطح ، وإن من يجهل هذا المصطلح المشهور عند المتصوفة لجاهل . وهذه اللفظة إن لم تضمها العربية من قبل فهي كلمة اصطلاحية . ولم يكتب في التصوف كاتب ، ولم يؤلف في طريقة القوم مؤلف، إلا ذكرا هذا الشطح كثيراً . ولن يسد شطط الشاطين ولا طائفة كبيرة من خلط المبشرين مسد الشطح . . . جاء في التاج : اشتهر بين المتصوفة الشطحات وهي في اصطلاحهم عبارة عن كلمات تصدر منهم في حال الغيبوبة وغلبة شهود الحق عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق كقول بعضهم أنا الحق، وليس في الجبة إلا الله، ونحو ذلك . وفي التعريفات : الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، فانه دعوى يحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهي بطريق يشعر بالنباهة[2] . . .

٣٨ — في الصفحة (٤٣٧) فهذا الكلام يستلفت نظرنا من جهتين

قلت : استلفت خطأ ، وإن قيل : قال سيبويه في (هذا باب استفعلت) : (وتقول استعطيت أي طلبت العطية ، واستعتبته أي طلبت إليه العتبي، ومثل ذلك استفهمت واستخبرت أي طلبت إليه أن يخبرني) . قلنا : جاء ما ذكره سيبويه ولكنهم لم يقولوا استلفته أي طلب لفته ؛ ثم اللفت في اللغة لي الشيء عن الطريقة المستقيمة، ولفته لواه على غير جهته — كما في اللسان — فيكون معنى الجملة حسب بناء هذا الفعل ؛ (وهذا الكلام يطلب لي نظرنا على غير جهته من جهتين ..) وهناك نظران : نظر البصر ونظر البصيرة فأيهما المقصود ؟

٣٩ — في الصفحة (١٥٣) ويعتقد المسلمون بعصمة الأنبياء

قلت : قالوا : اعتقد كذا بقلبه — كما في الصحاح — ولم يقولوا اعتقد بكذا . وفي المصباح : اعتقدت كذا : عقدت عليه القلب والضمير

٤٠ — في الصفحة (٥٩) : على أنها كانت أيضاً تعلق في الكعبة بأمر الأمة مكتوبة في ثوب قبطي بماء الذهب

---

(١) المكان المتعادي غير المستوي (الأساس)

(٢) في مقدمة ابن خلدون : وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الانصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس ، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ؛ وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذر ... (قلت) كاد ابن خلدون يتقلب صوفيا ، والواردات في كلامه جمع الوارد وهو من اصطلاح المتصوفة، وهو كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد كما في التعريفات

قلت : اضطر (سال) أن يقول فى (ثوب قبطى) حتى يوضح فى لغته اللفظة . ولو كان مترجم (القلة) وذو الذيل ممن شدا من العربية شيئاً لجاب الكلمة التى وضعتها اللغة أو التى أوردتها كتب الأدب فى خبر المعلقات والتعليق وهى القباطى ومفردها القبطية . قال ابن رشيق في العمدة : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة . وقال صاحب العقد : « . فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة[1] وعلقتها فى أستار الكعبة[2] »

والقبطية فى الشعر القديم وفى الحديث . جاء فى الفائق : كسا (صلى الله عليه وسلم) امرأة ، قبطية[3] فقال مرها فلتتخذ تحتها غلالة لا تصف[4] حجم عظامها . ومن حديث عمر (رضى الله عنه) لا تلبسوا نساءكم القباطى[5] فانه إلا يشف ، فانه يصف

* * *

أجتزىء بما أوردت من أغلاطهم وسائرها سيظهر فى وقت ، فى كتاب

«الأسكندرية» * * *

(١) أدرجه : طواه

(٢) قال ابن الأنباري فى طبقات النحاة : إن هذا لا أصل له . وقال أبو جعفر احمد بن محمد النحاس : أن حمادا هو الذى جمع السبع الطوال ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة .

(٣) بالضم والكسر والضم أكثر عند صاحب القاموس والكسر أكثر عند صاحب الصحاح

(٤) لاتعلم ما وراءها لأنه إذا علم حجم الأعضاء لرقته والتصاقه باللابس فكأنها تصفه (الزمخشرى)

(٥) بتشديد الياء وتسكينها القباطى ثياب إلى الدقة والرقة والبياض تعمل بمصر نسبت إلى القبط (التاج ، الأساس)

سر العالم

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

ترجمة الأديب عبد الوهاب مصطفى بحلاق

عندما مرت الدهور، وتردد النحل على حدائق الصيف، وابتسم القمر لزنبقة المساء، وبعث البرق قبلاته النورانية للسحب، ومرح ضحكاته فى الفضاء.. وقف الشاعر فى ركن مشحون بالأشجار مكلل بالسحب ، وظل قلبه صامتا كالزهرة ... يستطلع خلال أحلامه كما يفعل الهلال، ويهيم كما يفعل نسيم الصيف لغيرما غرض:..!

وفى إحدى ليالى إبريل عنـدما بزغ القمر كفقاعة ماء من أعماق الغرب ... وكانت إحدى الفتيات مشتغلة برى النبات وأخرى تطعم غزالها، وثالثة ترقص لطاووسها بدأ الشاعر يغنى:

« آه ... أنصتوا لأسرار العـالم ... إنى أرى أن الزنبقة شاحبة مصفرة لأنها تحب القمر ... وزهرة اللوتس تسحب قناعها أمام شمس الصباح، والسبب جلى لو أنعمتم التفكير. ومعنى طنين النحل فى أذن الياسمين الصبوح قد عزب عن خاطر العلماء ولكن الشاعر يعلم .. ! »

وذهبت الشمس فى تورد الحياء ، وصعد القمر متمهلا خلف الأشجار ، وهمست ريح الجنوب لزهرة اللوتس أن الشاعر ليس بساذج كما يظهر منه. فشبك الفتيات والشبان أيديهم وصاحوا:

« لقد انكشف سر العالم .. ! »

ثم نظر بعضهم فى عين بعض وأنشدوا :

« ليطر سرنا أيضا على أجنحة الريح .. ! »

عبد الوهاب مصطفى بحلاق



والإنسان يبحث عن إكسير الشباب . أما العثور على هذا السر الطبيعى فلم يكشف إلا حديثاً بواسطة علم العلاج بالهرمونات الذى برع فيه رجال قيادة . بدون منازع . العلامة الأستاذ الدكتور ماجنوس هيرشفلد . فقد قدم جنابه لبنى الإنسان فى لولوتيطس الوسيلة الطبيعية الوحيدة لحفظ قوى الشباب والوقاية من أمراض الشيخوخة المبكرة . ابتكار حديث : فى حالات . سرعة القذف . يجب استعمال . نوى تيطس نمرة ٣ . ولأجل معرفة كل ما يختص بالأمور التناسلية يجب مطالعة كتاب . الحياة الجديدة » الذى يرسل إليك نظيره للنسخة الفرنسية أو الإنجليزية المحلاة برسوم ذات ٥ ألوان و٣ للنسخة العربية . أرسل المبلغ طوابع بريد إلى : جلاندوهرمين ص ب ٢١٠٥ بمصر

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية فى فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

— ١ —

سيدى رئيس تحرير الرسالة وأستاذى العزيز

ولا يغضبك من تلميذك أن يذكرك بعهد كرت عليه الأيام، وطواه الدهر فى صفحات بدأ يعلوها الاصفرار. فكم فى مثل هذه الذكريات من العذوبة ما ترق له النفس، وتذوب حنانا، يرسل فى قسوة الحاضر سحر الماضى، فنرضى ونبتسم ... ثم ينسينا التلهفَ على الماضى حسنُ الظن بالمستقبل. وهكذا تدفعنا دائما مناعة النفس ضد التبرم بحقائق الحاضر أن نلوذ بما نتصوره سحر الماضى، حتى ترهقنا الحقيقة ونرى قلم الزمان يجر رقما جديدا فى حساب الأعمار، فنديرُ إليه ظهورنا ونتعلق بآمال المستقبل

فاذا أنكرت من تلميذك حديث الحنان ومنطق العاطفة، وإذا اتهمته بسوء النية فى إثارة حديث الأعمار، فهو يدفع عن نفسه بأن التلميذ غير مسئول إذا اصطنع حديث العاطفة — ولو لم يكن هذا فى فطرته — إذا كان أستاذه هو صاحب ذلك الأسلوب الموسيقى فى ترجمة «آلام فرتر» و «رفائيل»؛ وهو متأهب بعد ذلك أن يسل حسام المنطق الجاف، منطق العقل الخالص، يعالج به مشكلة الأعمار ويقيم الدليل على أنه لم يكن ماكراً خبيثاً فى إثارتها، وهو الذى لا يقنع بتلك الحجة البائسة تساق للسلوة عما مضى من الشباب، فى قولهم إن مع المشيب نضوجا وحكمة، فما كانت هذه الحكمة فى الغالب إلا خمودا في جذوة الحياة، وفرقا من اعتناق ثائر الأنظار تضطرب من تحتها الأرض. لا يقنع تلميذك بهذا بل هو مصطنع لسان الطب يعالج به مشكلة الأعمار فيقول: إن ما يختلج أعضاء المرء من الحيوية لا يقاس بما مر من السنين على بزوغ هذه الحيوية. وقديما قال الفرنسيون: وما عمر المرء إلا عمر عروقه On a l'age de ses artères وهو مايعبر عنه بلغة البيولوجيا الحديثة (أو قل علم الحياة حتى يرضى عنى أنصار ترجمة المصطلحات العلمية) بأن مبلغ الطاقة الحيوية فى المرء موقوف بما عليه إفراز غدده الصماء كما وكيفا، وبما تطيقه مجموعته الاشتراكية بالفعل وبالقوة. فاذا كانت المقاييس الحديثة لنشاط هاتين المجموعتين قد أدت إلى تقرير مبادئ جديدة فى حساب الأعمار يستند إليها علم حديث يدعونه بيوتيپولوجى Biotypologie يرمى إلى تمييز الشخصية الحيوية للأفراد لتوجيههم فى معترك الحياة، بأن يدلهم على ما يصلحون له وما يطيقونه؛ وإذا كنا نرى هذا البحث الجديد قد جعل من بعض الشيوخ شبابا ومن بعض الشباب شيوخا، أفلا يرى معى أستاذى أن لا بأس على الشيوخ إذا كان نشاطهم شابا، وأن يخفف الشباب من غلوائه إذا كان نشاطه متقاعدا هرما؟

فاذا لم يرضك منى حديث المنطق بعد حديث العاطفة، وهممت أن تجرى قلمك الأحمر على هذا اللغو تحذفه من كلمى كما تعودت أن تفعل معى قديما فى «كراسة الانشاء» فانى أهيب بك أن تسمح لى بالاستئناف أمام أستاذى أحمد أمين، فلعله يكون أقل صرامة فى الحكم، وقد سمعته يشير إلى تلك الظاهرة النفسية التى تدفع بالكاتب إلى الحرص على آثار قلمه والاعتزاز بها الغث منها والسمين، كما تحرص الأم وتحب فلذات كبدها، الدميم منهم والجميل

وبعد فهأنذا أفى بوعد قديم فأكتب «للرسالة» صفحات أردت أن أشير فيها إلى بعض تيارات الفكر العلمى الحديث فى الغرب، التى تمثلها تلك المظاهر الدولية تعلن لحاملى لوائها تقدير الأوساط العلمية، فتجيزهم جوائز فخرية مثل جائزة نوبل أو الدكتوراه الفخرية تمنحها لهم الجامعات

وقد كان منح الدكتوراه الفخرية Honoris causa هذا العام فى الجامعات الفرنسية حادثاً جللا بالنسبة لمصر، فقد رأينا لأول مرة أديباً مصرياً ينال هذا الشرف وهو الدكتور طه حسين بك. ولست أشك أن غيرى كتب فى الجرائد المصرية يبين خطر هذه المنحة. وحسبى أن أشير إلى أن الجامعات الفرنسية ضنينة بأجازاتها فلا تمنحها لغير العلماء الذين ثبت فضلهم على العلم؛ فلم تر إينشتين يُمنح الدكتوراه الفخرية من باريس

إلا سنة ١٩٢٩ بعد أن نال جائزة نوبل مرتين. وها نحن أولاء نرى بين العلماء الذين فازوا بهذا الشرف هذا العام اثنين من العلماء هما « تزنت جيورجي » و « كارر » قد سبق أن فازا بجائزة نوبل الأول للطب والثاني للكيمياء لقيامهما — منفردين — بأبحاث خطيرة في مسألة الفيتامين كما سأبين بعد

وليس في عزمي أن أقدم إلى قراء الرسالة الدكتور طه حسين بك كما سأقدم إليهم العلماء سورنسن ، وتزنت جيورجي ، وكارر من بين العلماء الذين فازوا بالدكتوراه الفخرية من فرنسا هذا العام ، فإن عميد كلية الآداب ليس في حاجة إلى أن يقدم إلى صحف الأدب العربي ، كما أنه ليس في عزمي أن أتناول بهذه المناسبة مؤلفاته الأدبية بنقد أو تحليل ، فلم يكن الأدب من عملي ولم أكن يوماً من الأدباء

وحسبي أن أردد ما قاله ممثل الجامعة الفرنسية في عميد كلية الآداب من المقابلة بينه وبين أديبهم الفرنسي رينان ، فقد قال : إن رينان كان أديباً فذاً ولكنه كان إلى ذلك مؤمناً قوي الإيمان بمستقبل العلم نصيراً له ؛ وكذلك الدكتور طه في مصر فهو إلى صفاته الفنية في الأدب قد بث فيمن حوله روحاً علمية صحيحة وأنفق من الجهد في نصرة الروح العلمية والأخذ بمنهجها ما يجعله حقيقاً أن يحتفل به العلماء قبل الأدباء . ومن أجل هذا فإني أسجل له تحيتي هنا

العلامة سورنسن S. P. L. Sörensen

يمتاز هذا الكيميائي الدانمركي بعبقرية مبتدعة في طرائق البحث التجريبي واختراع الوسائل الفنية التي يدعونها بتلك الكلمة اليونانية الأصل « تكنيك » ؛ ولعل العلماء المبرزين في هذا النوع من النشاط العلمي أقل حظاً من غيرهم في ذيوع الشهرة وجريان أسمائهم على أفواه المتعلمين ؛ ذلك لأن هذه الوسائل وما يتصل بها من الأجهزة تبقى في العادة داخل المعامل يستغلها الباحثون في الكشف وتحقيق الفروض ، فاذا ما انتهى إلى جمهور المتعلمين شيء منها فهي نتائج هذه البحوث : قانون طبيعي ، أو نظرية جديدة في تفسير طائفة من الظواهر تحمل اسم قائلها ولكنها غفل من اسم مخترع الوسائل التي أدت إلى هذا الكسب الجديد في ميدان المعرفة . ومع ذلك فان هذه الوسائل كثيراً ما كانت تكأة لفتوح خطيرة في العلم بل تكأة لعلم بأمره ؛ فكثير منا يعلم مثلاً أن جاليليه هو أول من أقام الدليل على صحة نظرية كوبرنيك في دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها ، ولكن كم منا يعلم أن هذا الجهاز البسيط المقرب للأبعاد المدعو تلسكوب ، والذي خرج من خلاله كل محصولنا الحالي في علم الفلك بل كل هذه الثورة على جدل القرون الوسطى النظري وتوجيه العلم نحو الملاحظة والتجريب ، كم منا يعلم أن المنظار المقرب يحمل اسم جاليليه ؟ ثم كم من الأطباء في العالم الذين يستعملون كل يوم منذ أكثر من قرن ذلك الجهاز المدعو « ستتوسكوب » أي السماعة الطبية ويقيمون تشخيصهم على ما يسمعونه خلالها ، كم منهم يعلم أنها تحمل اسم الطبيب الفرنسي الكبير « لينك » مؤسس فن التشخيص السمعي ؟

اتجه نشاط سورنسن بعد بحوث في الكيمياء المعدنية نحو دراسة المكون الرئيسي للمادة الحية : المواد الزلالية المسماة في الاصطلاح الدولي بروتيد ؛ بدأ باستخلاصها في حالة النقاء أي خالصة من المواد الأخرى العالقة بها مما مكنه ومكن غيره من الباحثين من دراسة خصائصها الكيميائية والفيزيقية ؛ أجرى عليها تجربة التحليل الغشائي ، أي النفاذ خلال الأغشية وهي أجسام من أصل نباتي أو حيواني ذات ثقوب دقيقة (مثل جلود الحيوانات) لا تسمح لغير الجزئيات الدقيقة مثل جزئيات الملح الذائبة في الماء باختراقها ، بينما الجزئيات الزلالية لا تنفذ منها . ونتيجة هذا التحليل الغشائي أن الجزئيات الغريبة العالقة بالجزئيات الزلالية تنفذ خلال هذه الأغشية تاركة الجزئيات الزلالية في حالة النقاء . وهكذا تبدو لنا المحلولات المحتوية على مواد زلالية كأنها تسلك مسلك المحلولات الغروية (نسبة إلى الغراء) أي تلك المحلولات التي تختلف عن المحلولات العادية — المسماة بالمحلولات البلورية مثل محلول الملح — بكبر حجم جزئياتها مما يمنعها من اختراق تلك الأغشية ، والتي تختلف عنها أيضاً بأنها لا تترك بعد تبخير السائل الذائبة فيه دقائق متبلورة بل تترك جسما يشبه الغراء

ولكن هذه الحقيقة ، حقيقة وجود المواد الزلالية وبالتالي المادة الحية على الحالة الغروية تحمل نتائج غاية في الخطورة؛ ذلك أننا نعلم أن المحلولات الغروية تنفرد بصفات خاصة يرجع إليها السبب في ثبات هذه المحلولات أي بقاء الجزئيات منتشرة في السائل لا تسقط ، فاذا ماحدث اضطراب في هذه الصفات فان جزئيات المحلول الغروي تتهالك بعضها على بعض أي تفقد ثباتها فينهار المحلول الغروي . ولما كانت المادة الحية توجد على الحالة الغروية فان بقاء الحياة واستمرارها يترجم عنه من الناحية الفيزيقية

بثبات الحالة الغروية ، وفناء الحياة أو اضطرابها يترجم عنه من الناحية الفيزيقية بانهيار الحالة الغروية

أما أهم هذه الصفات التي يرجع إليها ثبات الحالة الغروية فهو وجود شحنة كهربائية من نوع بعينه تحملها الجزئيات المنتشرة فتدفعها إلى التباعد بعضها عن بعض فتمنعها من التهالك . فاذا ما أدخل على المحلول الغروي جسم يحمل شحنة كهربائية مضادة لشحنته لا تلبث جزئيات المحلول الغروي أن تتجاذب مع هذا الجسم الغريب وفقاً للقانون الطبيعي الذي يقرر التجاذب بين جسم موجب وآخر سالب، وبالتالي ينهار المحلول الغروي ؛ وهذا ما يحدث بين السموم المفرزة من الجراثيم وبين الجزئيات الزلالية في الأنسجة الحية . ومما يجدر ذكره أن تقدم الكائن الحي في السن وانحداره نحو الهرم يقابله تغير في الصفات الغروية الخاصة بأنسجته ينتج عنه تباطؤ في نشاطها ؛ وهكذا يمكننا أن نقرر دون خشية الخطأ أنه في اليوم الذي تتم لنا فيه معرفة جميع الصفات الغروية نكون قد كشفنا الغطاء عن جميع مميزات المظاهر الفسيولوجية في الصحة والمرض

ومن المسائل التي استرعت اهتمام سورنسن مسألة الوزن الجزيئي للزلاليات، أي وزن أصغر جزء له نفس صفات الجسم الذي يتركب من عدد كبير من هذه الجزئيات ؛ فاستعان بالضغط « الأسموزي » أي الضغط الذي يحدثه دفع محلول على جدار غشاء إذا وجد من الناحية الأخرى من هذا الغشاء محلول ذو تركيز يختلف عن تركيز المحلول الأول . وبواسطة قانون « فان تهوف » الذي يبين العلاقة بين الضغط ودرجة الحرارة المطلقة والتركيز الجزيئي يصبح من السهل استنتاج الوزن الجزيئي . أدت هذه الطريقة سورنسن ثم « أدير » إلى تقدير الوزن الجزيئي لزلال البيض بـ ٣٤ر٠٠٠ وبضعف هذا العدد لزلال الدم . وقد حققت التجارب التي أجريت بواسطة طرق فيزيقية أخرى هذا العدد كما حققت أن المواد الزلالية المختلفة لا تختلف في وزنها الجزيئي إلا بأنها حاصل ضرب هذا العدد في أعداد صحيحة . وليس في ذلك غرابة، فنحن نعلم أن المواد الغروية تتكون من وسط منتشرة فيه دقائق مؤلف كل منها من عدد معين من الجزئيات قد يختلف من مادة غروية إلى أخرى . ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف في الوزن الجزيئي فان ما يسترعي النظر حقا هو ضخامة حتى أصغر قيمة وجدت للوزن الجزيئي في الزلاليات وهي ١٧ر٠٠٠ (يلاحظ أنها نصف ٣٤ر٠٠٠) ؛ ذلك لأننا لا نعرف جسما يقترب وزنه الجزيئي من هذه القيمة مما يدل على شدة التعقيد في تركيب المواد الزلالية ؛ ومع ذلك فان تحليل هذه المواد إلى عناصرها الأولية لا يؤدي إلا إلى أربعة عناصر بسيطة هي الكربون والهيدروجين والأكسجين والأزوت ، ثم في معظم الحالات أيضاً الكبريت . إذن فالتعقيد لا يأتي من ازدحام عدد كبير من العناصر الأولية، بل من النظام الداخلي في ارتباط هذه العناصر . كيف تتركب إذن هذه المواد؟ إذا أجرينا على المواد الزلالية تحليلا تخميريا أي بواسطة الخمائر مثل خمائر الأمعاء فانها تنحل في النهاية إلى عدة أجسام بسيطة التركيب إلى حد ما ، يدعونها الأحماض الأمينية أي أجسام يميزها وجود وظيفة حمضية بجانب وظيفة أمينية (وهي وظيفة قلوية تحتوي على الأزوت منتشرة في المواد العضوية) ؛ وعلى ذلك كان من السهل أن يتحد حامض أميني مع حامض أميني آخر بأن ترتبط الوظيفة الحمضية لأحدهما مع الوظيفة الأمينية للآخر، كما أنه يمكن أن يتحد هذا الجسم المزدوج الجديد مع حامض أميني ثالث بنفس الطريقة وهكذا . وقد تمكن فيشر من تركيب نحو ثمانية عشر حمضاً أمينياً بعضها مع بعض فنتج لديه أجسام لها كثير من خصائص المواد الزلالية . هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الأحماض الأمينية نفسها يمكن تركيبها من أجسام بسيطة . وقد كان لسورنسن الفضل في دراسة وتركيب أحد هذه الأحماض الأمينية الهامة وهي الأرجينين، كما كان له فضل ابتداع طريقة للتقدير الكمي للأحماض الأمينية في محلول يحتوي عليها

(للبحث بقية)

مصطفى زيور

المدرسة العصرية

لتدريس اللغات الفرنسية والانجليزية
والرسم بالمراسلات وبالمدرسة

الشروط ترسل مجاناً وقت الطلب

١٢٦ شارع عماد الدين — القاهرة

للتاريخ السياسي

جهود المستر تشمبرلين وما ادت إليه

للدكتور يوسف هيكل

« علمتني التجارب أن الضعف في القوة العسكرية يعني الضعف في السياسة . » تشمبرلين — ٦ أكتوبر

إن خطاب الهر هتلر في نورمبرك وما تبعه من اضطرابات في تشيكوسلوفاكيا ، وقطع المفاوضات بين حكومتها وحزب السوديت الألمان، أقلق الرأى الدولى ولاسيما فى لندن وباريس . فقام المستر تشمبرلين ، رئيس الحكومة البريطانية ، بالاتفاق مع المسيو دلادييه رئيس الحكومة الفرنسية ، ببذل جهود شخصية لم يكن أحد يتوقعها منه ، لابعاد شبح الحرب العالمية وتثبيت السلام . وإننا فى عرضنا لهذه الجهود نتكلم عن مباحثات برختسكادن ومشروع لندن ، ونذكر مطالب الهر هتلر الجديدة ، ونبدى ما تلاها من الذعر الدولى ، وما تم فى مؤتمر مونيخ

مباحثات برختسكادن ومشروع لندن

اشتدت خطورة الحالة فى تشيكوسلوفاكيا فى ١٣ سبتمبر (ايلول) وخشي حدوث حرب أهلية بين التشيك والألمان السوديت على أثر انتشار الاضطرابات بين المنصرين فى كثير من المقاطعات السوديتية ، وذلك مما كاد يؤدى إلى تدخل الجيوش الألمانية ، وبالتالى إلى مساعدة الجيش الفرنسى لحكومة براغ . وهذه الأعمال الحربية إن وقعت ، لا تلبث أن تصبح حربا عالمية بتدخل الدول الأخرى عملا بالمحالفات التى تربطها مع براغ وباريس من جهة ، ومع برلين من جهة ثانية

وبما أن النظام الدكتاتورى الذى يضع مصير البلاد فى قبضة رجل واحد قلل الانتفاع من النظام الديلوماسى الاعتيادي ولاسيا فى ساعات الأزمات، لذلك قرر المستر تشمبرلين، بالاتفاق مع حكومة باريس ، الذهاب إلى ألمانيا ، ومقابلة الهر هتلر ، ليتحقق ما إذا كان لايزال باقيا أى أمل فى حفظ السلام . فأرسل إليه فى ١٤ سبتمبر (ايلول) برقية قال فيها :

« نظرا لازدياد تحرج الحالة أرى أن آتى لمقابلتكم بقصد السعى لايجاد حل سلمى . وفى عزمى أن آتى بطريق الجو ، وإنى مستعد للسفر غدا . فأرجو أن تخبرنى عن أقرب وقت تستطيع فيه مقابلتى ، وعن المكان الذى نجتمع فيه » . فرد الهر هتلر على هذه البرقية بقوله إنه مستعد لمقابلة رئيس الوزارة البريطانية غداً فى برختسكادن

طار المستر تشمبرلين إلى ألمانيا صباح ١٥ سبتمبر (ايلول) فوصل برختسكادن الساعة الرابعة . وبعد تناول الشاى مع زعيم ألمانيا أخذ رجلا الدولة يتباحثان . ولم يحضر مباحثاتهما هذه التى دامت ثلاث ساعات غير المترجم

خلال هذه المحادثات أبان الهر هتلر بوضوح وتأكيد ، وجوب إعطاء السوديت الألمان حق تقرير مصيرهم ، والعودة إلى الريخ إذا كانوا يريدون ذلك. وإذا لم يعطوا ذلك الحق فان ألمانيا تأخذه لهم بالقوة .

وقد تذمر الهر هتلر من تهديدات بريطانيا له فأجاب المستر تشمبرلين على ذلك أنه يجب التفريق بين التهديد والانذار . وقد يكون للهر هتلر سبب معقول من التذمر لو أن المستر تشمبرلين مكنه من التفكير فى أن بريطانيا لاتدخل ضده فى حرب مهما كانت الظروف ، ولكن عملياً توجد حالات إن وقعت تضطر بريطانيا إلى دخول الحرب ضد ألمانيا .

ظهر للمستر تشمبرلين أن الهر هتلر كان يتأهب لأن يكتسح تشيكوسلوفاكيا مما جعله يسأله لماذا مكنه من السفر إليه مسافة طويلة، مادامت نتيجة ذلك ضياع وقته فقط. فأجاب الهر هتلر على ذلك أنه لو أن المستر تشمبرلين يؤكد له هناك (أى فى ألمانيا) وفى ذلك الوقت ـ أن الحكومة البريطانية تقبل مبدأ حق تقرير المصير ، لكان (أى الهر هتلر) مستعداً لبحث الطرق و الوسائل لتنفيذ ذلك. ولكن إذا كانت الحكومة البريطانية لاتعتبر هذا المبدأ، فان من الحق ألا تكون هناك فائدة من متابعة المحادثات . غير أن المستر تشمبرلين لم يكن حينئذ وفى ذلك المكان فى حالة تمكنه من إعطاء مثل ذلك التأكيد ، فأعلم محادثه أنه يريد العودة للمشاورة مع زملائه فى هذا الشأن ، إذا امتنع الهر هتلر عن القيام بأعمال عدائية ريثما يتمكن من معرفة جوابهم . فوعده الهر هتلر بذلك .

***

عاد المستر تشمبرلين إلى لندن صباح ١٦ سبتمبر (أيلول) ، معتقداً أن لا شيء يحول دون احتلال الجيوش الألمانية تشيكوسلوفاكيا إلا منح الألمان السوديت حق تقرير مصيرهم في وقت قريب . وكان ذلك ، في رأيه ، الأمل الوحيد في الوصول إلى حل سلمي .

وفي اليوم نفسه ، وبطلب من المستر تشمبرلين عاد اللورد رنسيمان من براغ إلى لندن . ولما سأله الصحفيون عن رأيه في الموقف أجاب: « كنت أود لو أنني أعرف عن الموقف ما تعرفون، وأخشى ألا يكون عندي من المعلومات ما أفضي إليكم به غير القول بأن الحالة دقيقة جداً وأنها بين يدي الله » .

وفي مساء ذلك اليوم عقد مجلس الوزراء البريطاني جلسة ، حضرها اللورد رنسيمان . وفي هذه الجلسة عرض رئيس وزارة بريطانيا لزملائه ما سمع من الهر هتلر ، وما حمل من فكرة عن موقف الجيش الألماني إزاء المشكلة التشيكوسلوفاكية . وفي هذه الجلسة أيضاً أوقف اللورد رنسيمان الحكومة على الحالة في تشيكوسلوفاكيا وأبدى لها ما يعتقده من حل حاسم لمشكلاتها .

بعد أن عرض اللورد رنسيمان سير المفاوضات ووضع مسؤولية فشلها على الهر هنلاين ومعاضديه داخل البلاد وخارجها قال: «مع ذلك فانني أعطف على قضية السوديت . إنه من المؤلم جداً أن يخضع الشعب لحكم شعب غريب» ثم أبان أنه حين وصوله كان زعماء السوديت المعتدلون لا يزالون يرغبون في حل يبقيهم داخل حدود الدولة التشيكوسلوفاكية ، لتأكدهم أن الحرب ستقضي على بلادهم لأنها ستكون ساحتها . وقد حاول اللورد الوصول إلى مثل هذا الحل ولكنه لم ينجح ، لتصلب أتباع الهر هنلاين وإيجادهم العراقيل أمام تحقيق الحلول المعروضة . لهذا أخذ اللورد رنسيمان يدين بأن المقاطعات المأهولة بأكثرية كبيرة ألمانية يجب أن تمنح حالاً حق تقرير مصيرها ، وأنه إذا كان لابد من إلحاق بعض الأقاليم بألمانيا ، وهو يعتقد بضرورة ذلك ، فانه يجب أن يكون حالا ومن غير تأخر. لأنه وجد — حسب رأيه في ترك الحالة غير جلية — خطر حقيقي : خطر حرب أهلية . ولذلك يرى وجوب اتباع سياسة سريعة حاسمة . أما إجراء الاستفتاء في المقاطعات التي تكون أكثريتها الساحقة ألمانية ، فما هو إلا عمل شكلي إذ الأكثرية من سكان هذه المقاطعات تحبذ الانضمام إلى ألمانيا . والاستفتاء لا يؤدي في هذه الحالة إلا إلى تهيج شعور الجمهور ، وبالتالي إلى نتائج سيئة . لهذا فان اللورد رنسيمان يوصي بضم هذه الأقاليم التشيكوسلوفاكية إلى ألمانيا

أما الأقاليم التي فيها النسبة الألمانية قليلة فانه يوصي باعطائها الاستقلال الذاتي ضمن حدود الجمهورية التشيكوسلوفاكية

وبعد أن عرض اللورد رنسيمان مسألة الحدود، تناول الأوجه السياسية التي تتعلق بسلامة الجمهورية التشيكوسلوفاكية وبتحسين علاقتها مع مجاوريها الملاصقين ، ولتحقيق ذلك يوصي :

١ — منع الأحزاب والأشخاص في تشيكوسلوفاكيا الذين يشجعون اتباع سياسة الخصومة لجاوريها ، من متابعة تحريضهم حتى ولو باتخاذ وسائل قضائية ضدهم

٢ — تغير حكومة براغ علاقاتها السياسية الدولية كما تعطي تأكيداً لجاوريها بأنها لاتريد مهاجمتهم في أي ظرف من الظروف، أو بالاشتراك في أي اعتداء عليهم تنفيذاً لمعاهدات مع دول أخرى. ومعنى ذلك إلغاء حكومة براغ لمحالفاتها الدفاعية مع فرنسا والروسيا

٣ — ضمان الدول الرئيسية — الذين يهمهم السلام في أوربا — حدود تشيكوسلوفاكيا في حالة التعدي عليها ، غير المحرض عليه

٤ — عقد معاهدة تجارية بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا إن كان ذلك مفيداً لاقتصاديات البلدين

***

كان لتقرير اللورد رنسيمان تأثير عظيم على الحكومة البريطانية. وقبل أن تضع خطتها النهائية ، رأت من الضروري استشارة الحكومة الفرنسية ، فدعا المستر تشمبرلين المسيو دلادييه رئيس وزارتها ، والمسيو بونيه وزير خارجيتها إلى لندن للتشاور مع الوزراء البريطانيين في ١٨ سبتمبر (أيلول)

اجتمع الوفد الفرنسي بالوزراء البريطانيين ، وأبان له المستر تشمبرلين مطالب الهر هتلر ورأى الحكومة البريطانية فيها ، وأوقفه على ما وصل إليه اللورد رنسيمان . وقد تم الاتفاق بينهم على مشروع لحل النزاع الألماني التشيكوسلوفاكي يضمن تحقيق مطالب زعيم ألمانيا ويحتوي على النقط التالية :

١ — فصل المناطق المأهولة بأكثرية ألمانية عن تشيكوسلوفاكيا وضمها إلى الريخ .

٢ — عدم إجراء الاستفتاء ، للصعوبات التي تنجم عنه ، والاستعاضة عنه بالتنازل عن المقاطعات التي كان يجب إجراء الاستفتاء فيها .

٣ — تأليف لجنة دولية ، تكون تشكوسلوفاكيا أحد أعضائها ، لتعيين الحدود التشيكية الجديدة والاشراف على تبادل السكان .

٤ — تعهد حكومة بريطانيا بالاشتراك بضمان دولي للحدود التشيكية الجديدة بدلا من معاهدات الدفاع الحالية .

وافقت الوزارة البريطانية بالاجماع على هـذا المشروع ، أما في فرنسا فاعترض عليه أربعة من الوزراء . وفي ٢٠ سبتمبر (إيلول) أرسلت حكومة براغ ردها على مشروع لندن إلى الحكومة البريطانية ، أبانت فيه الأسباب التي تدعوها إلى عدم قبول التنازل عن الأرض السوديتية. وأشارت إلى أنها لا يمكنها فقط قبول الاقتراحات الانكليزية الفرنسية التي وضعت دون موافقتها ، وطلبت أن يكون الخلاف بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا موضع التحكيم ، وفقا لمعاهدة عام ١٩٢٦ المعقودة بين هـذين البلدين، وأن تعيد حكومتا لندن وباريس النظر في المسألة؛ غير أن سفيري بريطانيا وفرنسا زارا الرئيس بنيش في الساعة الواحدة والربع من صباح ٢١ سبتمبر (ايلول) وألحا عليه بضرورة قبول مشروع لندن، وقد أفهماه أن الحالة في بريطانيا لا تمكنها من دخول حرب دفاعاً عن تشيكوسلوفاكيا، وبالتالي فان الحكومة الفرنسية لا تستطيع نجدة حليفتها . فقضت حكومة براغ ما بقي من الليل في درس الحالة . وفي الصباح أصدرت بياناً ذكرت فيه الأسباب التي اضطرتها إلى قبول مشروع لندن . ومما جاء فيه ، أنه « لم يسع رئيس الجمهورية والحكومة إلا قبول اقتراحات الدول الكبرى لأننا وجدنا أنفسنا بلا معين » .

على أثر ذلك اضطرب الرأي العام في تشيكوسلوفاكيا ، وقامت في البلاد مظاهرات وطنية ، واحتشدت الجماهير أمام قصر الرياسة صارخة « فليحي سيروفي ، وليحي الجيش » . فأطل الجنرال سيروفي مفتش الجيش العام من شرفة قصر الرياسة وألقى خطاباً قال فيه : « إنكم لا تعلمون الأسباب التي حملت الحكومة على اتخاذ القرارات الأخيرة . إني أحب الجمهورية بقدر ما تحبونها . إننا لا نستطيع أن ندفع بالشعب إلى الانتحار » . فأجابت الجماهير « إننا نفضل الانتحار ولا نريد أن يمس شرفنا . نريد الكفاح » . . . وكانت النساء على الأرصفة يشهقن بالبكاء ، والدموع تتساقط من أعين رجال البوليس .

وفي صباح ٢٢ سبتمبر (أيلول) استقالت وزارة الدكتور هودزا وأعلن تأليف وزارة قومية برياسة الجنرال سيروفي ، رجل تشيكوسلوفاكيا القوي .

وبرغم مطالب بولندا وهنغاريا التي زادت تعقيد المشكلة التشيكوسلوفاكية فان الدوائر السياسية ظنت أن الأزمة الدولية قد انفرجت بقبول تشيكوسلوفاكيا مشروع لندن الذي هو عبارة عن تحقيق مطالب الهر هتلر . واعتقدت أن طيران مستر تشمبرلين إلى ألمانيا للمرة الثانية في ٢٢ سبتمبر (إيلول) مكلل بالنجاح . فهل تحقق ظن هـذه الدوائر ؟ هذا ما سنعرفه في المقال المقبل

يوسف هيكل

التصوف الإسلامي

في الأدب والأخلاق

كتاب لم يسبق له نظير في اللغة العربية

« وقد نال به المؤلف إجازة الدكتوراه في الفلسفة برتبة الشرف من الجامعة المصرية »

يقع في مجلدين كبيرين وثمنهما معا أربعون قرشا
وهو يطلب من المكاتب الشهيرة في البلاد العربية
ويطلب بالجملة من مطبعة الرسالة

في اللغة

المؤنث والمذكر
في اللغات السامية
للأستاذ عمر الدسوقي

« تقدم إلى قراء الرسالة كاتبا جديداً من نوابغ الشبان الذين جمعوا بين الثقافتين الشرقية والغربية وهو الأستاذ (عمر الدسوقي). فقد تخرج في دار العلوم سنة ١٩٣٢ ثم أرسل إلى انجلترا للتخصص في اللغات السامية ، فدرس منها الحبشية والحميرية والآرامية والعبرية ، ودرس إلى جانب ذلك اللغات الفرنسية في انجلترا وجرنوبل بفرنسا ، والألمانية بانجلترا وجامعة « بن » ، ودرس أيضا الفلسفة في جامعة لندن ، وحاز بكالوريوس الشرف في اللغات السامية من معهد اللغات الشرقية بلندن . وقد وعد الاستاذ أن يخص الرسالة ببحوثه القيمة في المواد التي تخصص فيها »

ما الفكرة التي حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء وتذكير بعضها الآخر ؟

وهل كان هذا التقسيم معتمداً على فكرة تشبعت بها أذهانهم وتصوراتهم أم كان ذلك عفواً ومن غير قصد ؟ لماذا كان الذهب مذكراً والفضة مؤنثة ، والكرسي مذكراً والمائدة مؤنثة ، والبيت مذكراً والدار مؤنثة ، والقمر مذكراً والشمس مؤنثة ؟

تسأل علماء اللغة وكتب اللغة فلا تجد جواباً شافياً ، اللهم إلا هذا التقسيم القديم ، وهو انقسام الاسم إلى مذكر ومؤنث ، والمؤنث إلى حقيقي وغير حقيقي ومعنوي ومجازي ولفظي ؛ ولكن لماذا لحقت تاء التأنيث وأخواتها المؤنث غير الحقيقي ؟ أو لماذا اعتبروا بعض الأسماء مؤنثاً ولو لم تكن بها إحدى علامات التأنيث ؟ هذا ما سيدور عليه البحث الآن : —

نجد في اللغات الأوربية الهندية مذكراً ومؤنثاً ، وألفاظاً لاهي بالمذكرة ولاهي بالمؤنثة ، وهي ما تسمى بالانجليزية Neuter ، وأن بعض اللغات الأوربية قد اقتصر على المذكر والمؤنث كالألمانية والفرنسية ، ونجد بعض كلمات في الانجليزية مؤنثة أو بعبارة أصح تعتبر مؤنثة ، مع أنها بعيدة عن فكرة التأنيث من حيث « الجنس » أي فمثلاً كلمة Ship ؛ سفينة مؤنثة ، وكلمة moon أي قمر مؤنثة ، وكلمة engine أي آلة مؤنثة ، ولكنها كلمات قليلة لعلها أثر من آثار الماضي . أما اللغات السامية فقد اتحدت على تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث ، واتحدت في الأسماء التي تؤنث ، وهذا ما جعل المستشرقين — ما عدا نولدكه وفنسنج — يقولون إن الساميين قد قاموا بهذا التقسيم حينما كانت لغتهم لا تزال لغة واحدة Proto-Semitic ، وإن نظرتهم إلى الأشياء كانت نظرة عميقة جعلتهم يتخيلون فيها المذكر والمؤنث .

اعتبر العرب بعض الأسماء مؤنثة وإن لم تكن بهـا علامة تأنيث ، ولا تدل على مؤنث من حيث الجنس كالدار والنار ، والذراع والأصبع ، والسوق واليمين ، والأرض والأذن والعين والسن والشمس والحرب ، وهذا ما يسمى مؤنثاً مجازياً ؛ وتجد من هذا النوع خمسة عشر اسماً في جسم الانسان ، وأحد عشر اسماً من أسماء الآلات ، وأحد عشر اسما لأجزاء السماء والأرض ، واسمين للأمكنة ، وخمسة للحيوانات[(١)] . ويلاحظ أن هذا المؤنث المجازي يخرج تدريجيا في بعض اللغات السامية من المؤنث إلى المذكر ؛ فمثلاً كلمة « رحى » وكلمة « كأس » تجد كلاً منهما في العربيـة والسريانية مؤنثة وفي الآرامية مذكرة ، ومؤنثة تارة ومذكرة أخرى في اللغة العبرية . وخذ مثلاً كلمة « شمس » تجدها مؤنثة دائماً في اللغة العربية ، ومذكرة دائماً في الآشورية ، ومؤنثة تارة ومذكرة أخرى في الآرامية والعبرية[(٢)]

أما في الحبشية فقد تطورت هـذه الكلمات تطوراً آخر ، فحينما نسي الناس الفكرة الأصلية للمؤنث والمذكر حدث خلط حتى في الكلمات المنتهية باحدى علامات التأنيث[(٣)]

ويظهر أن هذا الانتقال من المؤنث للمذكر لم يتبع في كل حال انتقال الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى جديد كما حدث في كلمة « دار » حين أصبحت في العبرية « دور » بمعنى الجيل ، وانتقلت بذلك من المؤنث إلى المذكر ، بل ربما كان هذا الانتقال لضعف فكرة التأنيث كما في « رحى ، وكأس » .

(١) أنظر كتاب Wright الجزء الأول ص ١٨١ ، ١٨٢

(٢) أنظر كتاب Winsing - Some Aspects of Gender in the Semitic languages.

(٣) أنظر كتاب Dillmann, Ethiopic Grammar ص ٢٧٢

وقد استرعى نظر بعض العلماء وجود بعض علامات التأنيث لا في الاسم الدال على مؤنث حقيقي فحسب ، ولا في الأسماء التي اعتبرها الساميون مؤنثة لفظاً ، بل في بعض المصادر وبعض الجموع ، وكثير من الكلمات التي تدل على الكثرة والقوة . فنجد الألف المقصورة علامة من علامات التأنيث كما في سلمي وحبلى ، ولبلى ؛ ونجدها في جمع فعيل ، كصريع وصرعى وجريح وجرحى ، وقتيل وقتلى ، وميت وموتي ... الخ . ومعنى هذا أنه لا فرق في العلامة بين صيغة المؤنث وصيغة الجمع .

ونجد الألف الممدودة علامة من علامات التأنيث كما في شقراء وزرقاء وصحراء ، وورقاء ، ونجدها في جمع فعيل بمعنى فاعل إذا كان وصفاً لعاقل معتل اللام أو مضعفاً مثل أغنياء وأشداء وأقوياء ؛ ونجدها كذلك في جمع فعيل بمعنى فاعل وصفاً لعاقل غير معتل اللام ولا مضعفاً مثل كرماء وجبناء ، وبخلاء وسعداء وعظماء ؛ وهذان الجمعان من جموع الكثرة .

ونجد أيضاً التاء علامة من علامات التأنيث كما في فاطمة وسكينة ؛ ونجدها كذلك في بعض أوصاف الذكور للمبالغة كعلامة وفهامة وبحاثة ، وراوية ونابغة ، وداهية وقمدة ، وجثمة[1] ، ونجمة ونؤمة ، وفي العبرية « فُوحِلة » وهو الذي يؤم الناس في الصلاة . ونجد أيضاً هذه التاء تلحق الجموع لفاعل وفَعلة ، وخائن وخونة ، وعامل وعملة ، وكاتب وكتبة ، وكامل وكملة ، وطمام وأطعمة ، وغلام وغلمة ، وصبي وصبية ، وجهبذ وجهابذة ؛ وفي العبرية « أو رحاه » جماعة المسافرين .

وتأتي هذه التاء في المصادر كتجارة وزراعة وصباغة ، وحمرة وزرقة ودكنة وعذوبة ونباهة ، ومجادلة ومسابقة ومخاصمة ، ودحرجة ووسوسة وبعثرة وزمجرة ، وتلبية وسيطرة

والتاء في السريانية كعلامة للمبالغة والكثرة والمصدر والمؤنث ليست نادرة ولكنها تأتي مع « آن » وذلك موجود بالعربية أيضاً ؛ فعندنا في المصدر غليان وفيضان وخفقان ، وفي الوصف عطشان وظمآن ، وفي الجموع إخوان وفرسان وشجعان وفتيان وغلمان وولدان وسودان وحمران[2] ، وهي الصيغة المألوفة في الحبشية لجمع العقلاء ونعوتهم ؛ ونجدها في العبرية بأسماء التفضيل دلالة على بلوغ النهاية « ريشون » الأول ، و « آحرون » الآخر

(١) الجثمة : البليد النوام (٢) جمع أسود وأحمر

و « حيصون » الخارج ، و « حيخون » الداخل ، و « عليون » الأعلى ... الخ

وتأتي في الآرامية علامة لجمع المؤنث . ويقول الأستاذ مولر Müller إنها كانت أول الأمر « آت » كما في مسلمات وفاضلات ، وأصبحت « آن » قياساً على جمع المذكر في الآرامية وعلامته الياء والنون

وليست هذه العلامات قاصرة على المؤنث والجمع والمصدر ، ولكنها تلحق الكلمات الدالة على أمور معنوية : مثل رحمة ، ورأفة ، وشفقة ، وقسوة ، وغلظة ، وكرة ، وحياة ، وشقاوة ، وسعادة وبلواء وبأساء وبغضاء ، والعلامة هنا تدل على « شدة » ومتانة في المعنى entensity كما يقول العلامة فنسنج Winsing ، ويقول أيضاً إنها تلحق المصغر لتفخيمه وتعظيمه مثل حديا وجبيلي وحميا[1]

يدلنا كل هذا على ما يأتي :—

أولاً : ليس للمؤنث علامة خاصة به من حيث كونه مؤنثاً باعتبار الجنس

ثانياً : وجود صلة وثيقة بين المؤنث والجمع والمصدر والأسماء الدالة على الكثرة والقوة والأمور المعنوية

ثالثاً : هذه الصلة هي دلالة الجميع على بلوغ النهاية وتركز الفكرة ومتانتها

رابعاً : وعلى هذا فالفكرة التي حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء تأنيثاً حقيقياً أو غير حقيقي هي دلالة هذه الأسماء على بلوغ النهاية في بابها أو لعظمها[2] وما عليك إلا أن تقرأ صفحة من أحد معاجم اللغة في باب الهاء لترى ذلك واضحاً جلياً : فالقهقهة شدة الضحك ، والكمه العمى يولد به الانسان ، والكنه جوهر الشيء وغايته ، والكهمة الناقة الضخمة المسنة العجوز ... الخ[3]

وسأبين في المقال الآتي إن شاء الله لماذا نظر الساميون هذه النظرة الملتوية إكباراً وتعظيماً للمؤنث .

عمر الدسوقي
بكالاريوس الشرف في الآداب من جامعة لندن
ومدرس بحلوان الثانوية

(١) الحجيلي : الخطوة السريعة ، والحميا : نشوة الخمر
(٢) أنظر كتاب الأستاذ Brochelmann وهو Précis de Lirquistique. ص ١٢٧
(٣) القاموس المحيط ، طبعة بولاق ، باب الهاء ، ص ٢٨٦

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٤ —

الخاتمة

مات الرافعي فانطوت صفحة من تاريخ الأدب في مصر وانقرض جيل من أدباء العربية كان له مذهب ومنهاج؛ ولكن الرافعي الذي مات وغيَّبته الصفائح قد خلَّف وراءه تراثاً من الذكريات والآثار الفنية ستتعاقب أجيال قبل أن يفرغ الأدباء من دراستها والحديث عنها؛ وإنها لذكريات تثير في كل نفس ما تثير من عوامل الكره أو المحبة، وإنها لآثار...

أما هذه الذكريات، على ما تبعث في نفوس طائفة من الأدباء من معاني الغضب أو معاني الرضا، فقد أثبتُّ منها في هذه الفصول ما قدرت عليه؛ وليس يعنيني ما تترك من أثر في نفس قارئها، إذ كانت غايتي التي أحرص عليها هي جلاء هذا التاريخ لقراء العربية كما أجد صورته في نفسي وأثره في وجداني، متجرداً ما استطعت من غلبة الهوى وسلطان العاطفة وتحكم الرأي؛ لأضع بين يدي كل قارئ — اليوم أو غداً — المادة التي تعينه على الدرس والحكم والموازنة

وأما آثاره الأدبية فقد فصّلت الحديث عن بعضها في بعض ما سبق من هذه الفصول، وإلى القارئ جملتها مرتبةً على التاريخ الزمني:

١ — ديوان الرافعي: ثلاثة أجزاء، صدرت بين سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٦، وقدم لكل جزء منها بمقدمة في معاني الشعر تدل على مذهبه ونهجه، وهي مذيلة بشرح يُنسب إلى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعي وهو من إنشاء المترجم نفسه

٢ — ديوان النظرات: جزءان، صدرا بين سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٨

٣ — ملكة الإنشاء: كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه، أعدَّ أكثر موضوعاته وتهيأ لإصداره في سنة ١٩٠٧، ونشر منه بعض نماذج في ديوان النظرات، ثم صرفته شئون ما عن تنفيذ فكرته فأغفله، وقد ضاعت (أصوله) فلم يبق منه إلا النماذج المطبوعة في ديوان النظرات

٤ — تاريخ آداب العرب: صدر في سنة ١٩١١ بسبب من إنشاء الجامعة المصرية، ويراه أكثر الأدباء كتابَ الرافعي الذي لا يعرفونه إلا به

٥ — إعجاز القرآن: وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب، طُبع ثلاث مرات، أُخراها في سنة ١٩٢٦ على نفقة المغفور له الملك فؤاد

٦ — حديث القمر: أول ما أصدر الرافعي في أدب الانشاء، وهو أسلوب رمزي في الحب تغلب عليه الصنعة، أنشأه بعد رحلته إلى لبنان في سنة ١٩١٢، حيث التقى لأول مرة بالآنسة الأديبة (م. ى) فكان بينهما ما كان مما أجملت الحديث عنه في بعض الفصول من قصة حبه

٧ — المساكين: فصول في بعض المعاني الإنسانية ألهمه إياه بعض ما كان في مصر من أثر الحرب العامة أنشأه في سنة ١٩١٧

٨ — نشيد سعد باشا زغلول: كتيِّب صغير عن نشيده: «اسلمي يا مصر!» الذي أهداه إلى المرحوم سعد زغلول في سنة ١٩٢٣، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة؛ وأكثر ما في الكتاب من المقالات هو من إنشاء الرافعي أو إملائه

٩ — النشيد الوطني المصري: «إلى العلا...» ضبط ألحانه الموسيقية، الموسيقار المشهور منصور عوض

١٠ — رسائل الأحزان: كتاب أنشأه في سنة ١٩٢٤ يتحدث فيه عن شيءٍ مما كان بينه وبين فلانة، على شكل رسائل يزعم أنها من صديق يبثّه ذات صدره

١١ — السحاب الأحمر: هو الجزء الثاني من قصة حب فلانة، أو الطور الثاني من أطواره بعد القطيعة، صدر بعد رسائل الأحزان بأشهر

١٢ — المعركة تحت راية القرآن: هو كتاب «الجديد

والقديم » وفيه قصة ما كان بينه وبين الدكتور طه حسين لمناسبة كتابه « في الشعر الجاهلي » ، صدر في سنة ١٩٢٦

١٣ — على السفود : قصة الرافعي والعقاد ، نشرته مجلة العصور في عهد منشئها الأول الأستاذ إسماعيل مظهر ، ولم تذكر اسم مؤلفه ورمزت إليه بكلمة « إمام من أئمة الأدب العربي »

١٤ — أوراق الورد : الجزء الأخير من قصة حبه ، يقوم على رسائل في فلسفة الجمال والحب أنشأها ليصور حالا من حاله فيما كان بينه وبين فلانة، ومما كان بينه وبين صديقته الأولى صاحبة حديث القمر

وتعتبر كتبه الأربعة : حديث القمر ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد — وحدة يتمم بعضها بعضاً ، لأنها جميعاً تنبع من معين واحد وترمى إلى هدف واحد وإن اختلفت أساليبها ومذاهبها

١٥ — ؟ ؟ ؟ : كتاب لا أسميه ، أنشأه في صيف سنة ١٩٣٥ ، استجابة لرأى صديقه فلان وإليه ينسب !

١٦ — وحى القلم : مجموع مقالاته في الرسالة بين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٣٦ إلى مقالات أخرى ، طبع منه جزءان

***

وله عدا ذلك كتب لم تطبع أهمها ما يأتى :

١ — الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب : تام التأليف والتصنيف تقريباً

أسرار الإعجاز : فيه فصول تامة التأليف ، وفصول أخرى أجمل فكرتها في كلمات على ورق أو أشار إلى مصادرها ، وكان الرافعي يعتدّ بهذا الكتاب اعتداداً كبيراً ، وهو جدير بذلك حقاً ؛ وقد أطلعني — رحمه الله — على فصول منه ، كما تحدث إليّ عن نهجه في تأليفه ، وأذكر أن نهجه فيه كما يأتى :

ا — يتحدث في صدر الكتاب عن البلاغة العربية ، فيردها إلى أصول غير الأصول التي اصطلح عليها علماؤها منذ كانت ، ويضع لها قواعد جديدة وأصولاً أخرى

ب — ويتحدث في الفصل الثانى عن بلاغة القرآن وأسرار إعجازه ، مسترشداً في ذلك بما قدم في الفصل السابق من قواعد

ج — ويتناول في الفصل الأخير من الكتاب ، آيات من القرآن على أسلوب من التفسير يبين سر إعجازها في اللفظ والمعنى والفكرة العامة ؛ ويعتبر هذا الفصل الأخير هو صلب الكتاب وأساسه ؛ وقد أتم الكتابة — إلى آخر يوم كنت معه — عن بضع وثمانين آية على هذا النسق ؛ وقد نشر منها في الرسالة بضع آيات مفسرة على ذلك النهج ، جعلها في بعض أقاصيصه[1]

٣ — ديوان أغاني الشعب : وهو ديوان من الشعر جعل فيه لكل جماعة أو طائفة من طوائف الشعب نشيداً أو أغنية عربية تنطق بخواطرها وتعبر عن أمانيها ؛ وقد أنجز الرافعي طائفة كبيرة من هذه الأغاني نشر بعضها وما يزال سائرها بين أوراقه الخاصة ومؤلفاته التي لم تنشر . وأكثر الأغاني في هذا الديوان مأنوس اللفظ رشيق المعنى مما يجمل وقعه في النفس ويخف جرسه على الأذن .

٤ — الجزء الثالث من وحى القلم ؛ وفيه سائر المقالات التي كتبها، سواء منها مانشر في الرسالة وغيرها من المجلات والصحف، وما لم ينشر من قبل

٥ — الجزء الأخير من الديوان : وهو مجموعة كبيرة من شعره بين سنتى ١٩٠٨ و ١٩٣٧ ، بما فيه من شعر الحب ، والمدائح الملكية التي أنشأها للمغفور له الملك فؤاد

هذا إلى شتيت من المقالات والرسائل الأدبية أنشأها لمناسباتها ومنها كثير من مقدمات الكتب المطبوعة ، بعضها منسوب إليه وبعضها منحول مجهول النسب !

***

وعلى كثرة ما ألف الرافعي وأنشأ من الكتب والرسائل والمقالات والشعر ، فانك لا تكاد تجد كتاباً من كتب الرافعي في دكان من دكاكين الوراقين ، اللهم إلا نسخاً من كتاب وحى القلم في مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التي طبعته قبل نعى مؤلفه بأشهر

أما المطبوع من سائر الكتب فقد نفد من السوق ، وأما غير المطبوع منها فمازال ورقات وقصاصات على مكتبه ، وإنى لأخشى أن يمضى وقت طويل قبل أن تنتبه إلى ضرورة العناية بهذه المؤلفات التي خلفها الرافعي ورقات مخطوطة يكاد يبليها الاهمال والنسيان أو يسبق إليها العث والقوارض

ولدى الدكتور محمد الرافعي مشروع لاحياء تراث أبيه ،

(١) اقرأ في قصة « سمو الحب » تفسير قوله تعالى . « وراودته التي هو في بيتها ... » الآية

صور رحلة الشتاء

فى مضارب شمر

أكبر بيت من الشعر فى الجزيرة (موزو بتميا)

للآنسة زينب الحكيم

زرت جملة من بيوت البدو عاليها ومتوسطها وفقيرها . فوجدتها كلها تتحد فى نوعية النسيج التى صنعت منه ، وفي النظم التى اتبعت فى إقامتها منذ القدم

أما الفروق التى بينها ، فمن حيث الحجم وازدياد الأثاث ، وإن محتويات تلك الديار بسيطة ساذجة بوجه عام ، ولا تشمل إلا أهم الأدوات الضرورية للحياة المتقشفة . على أن من أكبرها وأعمرها وأكثرها تحضراً ، دار ملك البادية شيخ مشايخ شمر

زرت هذه الدار ، فاذا بها دار طويلة عريضة ، متينة الأوتاد قوية الحبال ، مرفهفة الجوانب . كلها من نسيج صوف الأغنام

لست أدرى أيجد الوسائل لتنفيذه أم تحول دونه الحوائل وتمنع منه الضرورات !

على أنى أكاد أومن بأن هذه ليست هى الوسيلة للمحافظة على تراث الرافعى ؛ فليس من الوفاء للرافعى وحسن الرّعية لأولاده أن تحمل عليهم هذا العبء وما انتفعوا من أبيهم بأكثر مما انتفع كل أديب وكل مسلم وكل عربى فى مصر وغيرها من بلاد العربية .

هل عرفت الحكومة المصرية أو عرف الأدباء فى مصر ما عليهم لأسرة الرافعى من حق قبل أن تحمل عليها هذا العبء إلى ما تنوء به من أعباء ؟ إنه عقوق وكفر وإنكار للجميل !

« شبرا » محمد سعيد العريان

* * *

١ — إجابة لرجاء القراء فى سوريا ولبنان والعراق ، قد جعلنا آخر الأجل لقبول الاشتراكات فى كتاب « حياة الرافعى » أول يناير سنة ١٩٣٩ ، وهو قريب من موعد صدور الكتاب إن شاء الله

٢ — ليس ما نشرناه فى الرسالة من هذه الفصول هو كل « حياة الرافعى » فان ما ينشر فى صحيفة غير ما ينشر فى كتاب « العريان »

والجمال ، على شكل دهليز طويل مقسم إلى حجر ، وهذا التقسيم إما بالنسيج أو بالحصير (السمار) ، وأرضها مفروشة بالأكلمة أو بالسجاد العجمى الجميل أو بالحصير ؛ ويتبع هذه الدار على مسافة قريبة جداً منها دور أخرى ، منها مايختص بالطبيخ أو بالمخازن الخ

وصف الحجرة التى استقبلتنى السيدات فيها

خباء من الشعر فى أحد أطراف الدار عن يمين الداخل إليها طالما تخيلناه وتمنينا رؤيته ، وضع فى الجهة اليسرى منه نوع من السرير العريض ، عليه فراش وثير مغطى بغطاء من الحرير الخالص اللون . وإلى جانبه (شلت) زرابى مبثوثة على الأرض المغطاة بالسجاد العجمي ، وتحت السرير حقائب وصناديق ، تبينت فيما بعد أن بها ملابس وحليا ، وحلوى تقدم للزائرات



الشيخ عجيل الياور وأولاده بين زوارهم من المصريين
أمام بيت من بيوت الشعر الكبيرة فى الشلقاط بالجزيرة

كانت السيدة الأولى التى استقبلتنى ابنة الشيخ عجيل الياور ، وهى فتاة رائعة الحسن : لون خمرى جميل ، وخد أسيل ، ولحظ كحيل ، ووجه مستدير عليه وشم قليل . إذا تكلمت فكأنما صوتها موسيقى الجنة العذبة الشجية قد انبعثت إلى عالمنا ، دلال فى وقار كالنسيم إذا سرى ، وكالزهر إذا تمايل

اسمها ملك وهى ملك حقا ، تفيض رقة إذا حودثت ، وتذوب عاطفة إذا استلهمت ، حياء فى غير تمعل ، وشمم فى غير تكبر . عرفتنى بعدد من زوجات أبيها وأخيها ، كلهن كحيلات الطرف أو متكحلات ، يغطى الوشم الأخضر أجزاء من وجوههن وأجسامهن ، فمنهن من غطت كل ذقنها برسومه ، أو زججت

حاجبيها به ، ومنهن من وشمت شفتيها بحيث لا تظهر حمرتهما ، وإنما اندمج لون الوشم مع لون الشفاه فصار اللون أخضر داكنا. وبعضهن طرزن قبب أعينهن برسوم غريبة ، هذا والحناء تخضب أناملهن وأكفهن وكفوفهن

أما « ملك » فكانت في زينتها وأناقتها تفوقهن جميعاً رقة ودقة وملاحة

سألتها كيف تمضى أوقاتها ، فقالت إنها لا تعمل شيئاً (هذا لأنها ابنة ملك البادية بالضرورة) قلت : ولكن ألا تضجرين ؟ قالت: بلى، ولكن هنا ماكينة خياطة أخيط عليها أحيانا . قلت : وهل تقرئين وتكتبين؟ قالت في غضاضة وألم : لا، إنهم لم يعلموني . قلت : وهل لك شقيقات؟ قالت: لا، أنا وحيدة. قلت : إذن تفضلي معي إلى مصر وأكون أختا لك والدار دارك أنت . توهجت وجنتاها بالدم العربي النقي ولمعت عيناها ، وانحبست أنفاسها ، ثم قالت في حرارة: لا يسمحون (تعني أباها وأخاها) قلت: قد يسمحان، قالت : قولي لهما

وفعلاً سألت أخاها (لأن والدها كان قد سافر إلى بغداد) إذا كان مما يتمشى وتقاليدهم أن تسافر البنت إلى بغداد أو إلى مصر مثلا ، فقال: هذا ضد نظام العشائر. فسألته لماذا لا تتزوج « ملك » فقال : هي لا تريد ، ومن جهة أخرى حتى يتيسر من يناسب مقامها (فهمت من سياق الحديث أن الزواج هناك يجرى على أساس سياسي بحيث تصير بعده مصاهرات صداقة واكتساب قوة للعشيرة)

الملابس

أعجبت بثياب تلك البدوية ، فعزمت على أن أرتدى زيّا كاملا منها حتى أصوّر به. وأسرعت فأخرجت من صندوق تحت السرير، ثوبين من الحرير أحدهما أحمر والآخر أخضر ، بأردان طويلة واسعة . فارتديت هذين الواحد فوق الآخر

ثم ارتديت معطفاً من الجوخ الثمين يقارب طول الثوبين ، وردنه طويل واسع مفتوح إلى نصف الذراع ، ثم ارتديت معطفاً ثانياً من الجوخ أيضاً أقصر من الأول وعلى نظامه فيما عدا ذلك ، وهما مزركشان بتطريز جميل . ووضعت على رأسي نوعين من النطاء ، أحدهما رفيع والآخر سميك ، وحليت معصمى بجملة من الأساور الذهبية ، ووضعت على رأسي حليات ذهبية ، وعلقت في شعرى قرب أذنى مثلثين من الذهب الخالص المطعم بالأحجار الكريمة ، لا يقل الواحد منهما عن نصف رطل

وطوقت جيدى بطوق من الذهب في إحدى أطرافه حلية ذهبية دقيقة الصنع جميلة المنظر جداً . وفوق هذا كله ارتديت العباءة الصوفية الشفافة ، ثم العباءة الصوفية الثقيلة التي تستعمل في الشتاء

شعرت أني مشلولة الحركة ، ثقيلة الخطى ، لا أستطيع التنفس ، عكس ما تتمتع به صديقتي « ملك » البدوية التي تمتاز بخفة الحركة ورقتها . والانسان ابن العادة

الطعام الذي تناولته في مضارب شمر

من أهم ما كنت أرقب مشاهدته ، تناول الطعام على الطريقة البدوية في البادية ، ولما كان وصولي إلى مضارب الشيخ عجيل الياور بعد الظهر ، فإنهم بالضرورة لم يعزموا على بتقديم الغداء ، ولا ينبغي أن نتصور أن أهل البادية يستطيعون إعداد طعام بالسرعة التي يؤدى بها هذا العمل في الحضر

ويصعب جداً على نفس البدوى أن يظهر بغير المظهر اللائق به ، لا سيما أمام الزوار الأجانب ، أو أبناء العشائر الأخري

وقد قدّم لنا الشيخ الشاى الحار اللذيذ مع اللبن على طريقتنا نحن ، فكان أول فنجان من الشاى استسغت طعمه من مدة طويلة ، وقدم معه أنواعاً من البسكوت الجاف الأفرنجى

العشاء

وفي المساء ، حوالى الساعة الثامنة ، دعينا إلى تناول العشاء في خيمة بيضاء كبيرة أقيمت في وسطها مائدة أنيقة الترتيب أفرنجية . وكان الندل من العرب النجديين السود البشرة ، يقدم ألوان الطعام على أحدث نظام، قلت : يا حضرة الشيخ ، ما لهذه النظم والقيود أتينا . قال : في الصباح تأكلون على الطريقة البدوية . قلت: ولكننا نسافر في الصباح الباكر ، قال: لا ، بل تبقون ثلاثة أيام على الأقل ، قلت : شكراً ، ولكن وقتنا محدود ، فقال : إذاً يكون الرحيل بعد الظهر

وجاء الصباح ، وجلسنا حول مائدة الإفطار ، وكانت أيضاً

على أحدث نظام أوربي أنيق ؛ فقلت : حقاً لقد خسرنا القضية في هذه الرحلة ياحضرة الشيخ ، قال : لا ، الغداء سيكون بدوياً فلا تخاف ، وحقاً لقد كان

الغداء البدوى

انتشرنا بعد تناول طعام الفطور في البادية نستجلي مباهجها ، ونستكشف أزهارها، ونجمع أنواعها الغريبة ، ونبحث عن الكمأة «الكمه» — وهي نوع من الفطر يوجد تحت الأرض ، يشبه البطاطس ، ولا ورق له ولا فروع — يستعملها البدو كنوع من الخضار يطهى مثل البطاطس . ويجفف منه كميات كبيرة لفصل الصيف المجدب

عند الساعة الثانية عشرة ظهراً دعينا لركوب السيارات ، وإذا بها تسير بنا من حيث خيام الشيخ إلي قلب البادية ، فقطعنا نحو عشرة أميال على بساط سندسي جميل على أرض مستوية ثابتة ، حتى وصلنا مجرى ماء يجرى في مساحة طويلة وسط البادية . (كونته سيول الأمطار الغزيرة) وهناك وجدنا عبيد الشيخ ، قد فرشوا سجادة عجمية نفيسة حمراء اللون ، قرب مجرى الماء . ووضعت صينية كبيرة فضية وعليها حمل محمر ، ومعه أرز الزعفران المزخرف بالكشمش (أي الزبيب)

قال الشيخ : هكذا يكون أكل البدو ، وضرب بيمناه في الأرز المحشى به الحمل ، وأخذ منه كبة طيبة إلى فمه ، ثم بدأ يوزع علينا من اللحم الشهي . فكانت أكلة بدوية بحتة ، بين مظاهر الطبيعة الخلابة ، والنفوس العربية الكريمة والأيدي السخية

تفضل الشيخ فسمح لي باستخدام صحن خاص أضع فيه الكمية التي أستطيع أكلها ، وما كدت أنتهي منها حتى أمر النِدل أن يضع لي كبة أخرى ، وما أرى إلا وقد حمل المغرفة وملأها بالأرز وفتات اللحم، وينوى وضعها في صحنى ، فقلت له: لا أريد مزيداً، أشكرك، فظل ممسكا المغرفة بيده الممدودة نحوى وقال : ولكنه أمرنى (يعنى أن سيده قال له ضع طعاماً للسيدة) ومن سلوكه وتوخيه تنفيذ أمر شيخه المطاع ، شعرت ضمناً أنه يقول «من لم يمت بالسيف مات بغيره»، وكبشة الندل كانت «غيره» على التحقيق . ما أشد إصرار البدوى ، وما أقوى عزيمته . قلت : حسن أطع أمر الشيخ بارك الله فيك . فوضع ما بالمغرفة في صحنى وصار جذلاً



الآنسة زينب الحكيم بالوسط والشيخ صفوك الياور إلى اليمين بالبيداء مع الصيد

بعد أن تناولنا الفاكهة ، وغسلنا أيدينا بالماء الدافئ والصابون ، انطلقنا للصيد . وكانت محاولات الرماة كلها غير صائبة ، ما عدا الشيخ صفوك الياور ، فقد رأى ثلاثة من طير الحبارى الكبيرة ، فقال : لأرمينها ونحن في السيارة ، أسرع يا سائق ولا تتوقف أبداً أو تبطئ . وها هوذا يصيب طائرين من الثلاثة ، حملنا واحداً منها معنا هدية لأصدقائنا في أربل ، فإن هذا الطير لذيذ الطعم بعد الطهى

وبذلك انتهت زيارتنا للبادية مع شديد الأسف

« للحديث بقية » زينب الحكيم

طبق المرغوب

في هذا الفصل تتفشى الانفلونزا وارشوحات والأمراض الصدرية فتقرأ عن شتى العلاجات حتى تحار في أيها الأصلح . فلا تحتار لديك اكس آى (Ex-Ail) روح الثوم الطبيعي — بلا رائحة ولا طعم اكتشفته معامل فوبلجا ريزاسيون بفرنسا خصيصاً للأنفلونزا والدنج . أنت تعلم فوائد الثوم كما عرفها الأقدمون من ألوف السنين. حبوب اكس آى لاتشفيك فقط من الأنفلونزا بل تكسبك مناعة ضد النزلات الشعبية والممون الخ . لا تهمل نفسك. إسرع إلى اكس آى فتتقى شر الحمى والنزلات وشر البلية إذا لم تتقيها . في الأجزاخانات وعند دلمار .

طاقـــة أفكار

للأديب محمد فهمى

إن أبطال التاريخ هم أفرادٌ متحمسون للمُثُل العليا إلى درجة الجنون . ومجنونٌ واحد من هـذا النوع فى مصر يغير مجرى تاريخها . . .

الثقة الهائلة بالنفس والايمان بهـا إلى غير حد هما مفتاح العظمة .

ثلاثة لا يصح أن يطلبها فى الحياة عاقل : الراحة . السعادة . الوفاء .

لقد عاد الغرب إلى الوثنية ، ومعبوده تمثال من الذهب على صورة المرأة .

يُخَيَّل إلى أن كل ما يقوله الفلاسفة والحكماء عن الحقيقة كذب صراح ليس بينه وبين الحقيقة أية صلة، والدليل على ذلك أنهم منذ آلاف السنين للآن لم يتفقوا على رأى فى تعريفها ، وحتى آراء الشخص الواحـد وحكمته تتغير وتتبدل حسب حالاته النفسية وانفعاله بالبيئة ثم هى لا تثبت كلما تمادت به السن . أما الحقيقة (إذا كانت حقا هناك) فما زالت بِكراً محجبة ما دَخل خدرها مغرم !

لو فهم الفنان الحياة لما صار فنانا .

ينظر الفنان إلى الناس وكأنهم أشباح تعيش فى عالم الوهم والخيال وينظر الناس إلى الفنان كأنه طيف بشر يعيش فى عالم أوهامه وخيالاته ...

لولا نصفنا الأسفل لصرنا ملائكة .

ابحثوا عن النفوس الشريفة بين المغمورين .

يصعد البارزون فى الحيـاة والمجتمع عندنا على جثث صرعى المثل العليا .

إذا عشقت الحياة وضحيت فى سبيلها بكل شىء غمرتك بالرضا وهناء العاشقين . وأما إذا ازدريتها ومضيت صاعداً نحو « المثل الأعلى » عدوها اللدود جردت خنجرها وطعنتك من الخلف . فاذا أصابتك قتلتك وإذا أخطأتك صرت معبود الملايين . فاذا بها تسعى إليك ذليلة خاضعة تتمرغ عند قدمي معبودها الجبار . ولكن حذار أن تصغى لتوسلاتها، إنها تضمر لك الانتقام الهائل المروع . فاذا انخدعت هوت بك من حالق فاذا أنت سخرية الملايين !

الطمع رأس الفضائل كلها، والنفوس الشريفة تحققه بالوسائل الشريفة فيكون طموحاً والنفوس الدنيئة تسمى إليه بدنىء الوسائل .

الطمع هو الذى يقود الانسانية إلى الأمام . فالطموح إلى السيطرة والطمع فى امتلاك الشرق والغرب هو الذى قاد الاسكندر من مقدونيا إلى الهند — فامتزجت ثقافات وولدت ثقافات . وهو الذى قاد قيصر إلى أنحاء أوربا حتى بريطانيا « انجلترا » فنشر لواء الحضارة الرومانية بين البرابرة . وهو الذى قاد ويقود الأوربيين فى مشارق الأرض ومغاربها وسيّر ويسير الحضارة والانسانية إلى الأمام

القناعة داء الشرق العضال فمن لى بطبيب يداوى هذا العليل ؟!

لأن تكون كل فضائلك القناعة والزهد فى الحياة فأنت أبعد الناس عن الفضيلة ؛ فان المشهورين بالقناعة والزهد من السلف الصالح وأبطال الاسلام كانوا على قناعتهم أكبر الطامعين فى ثواب الله ورضائه ، ومن أجل هذا قاموا بأعمال جليلة من الفتوحات والغزوات . وهم فى هذا يتفقون ورجال الغرب الذين قادهم طمعهم فى السيطرة والجاه إلى التحكم فى أمم الشرق ولا فرق غير أن طمع الأولين كان فى نعيم آجل ، وطمع الأوربيين فى نعيم عاجل

ما يتعلمه الشيخ من الشاب هو تجاهل الأمر الواقع فى طلب المثل الأعلى وازدرائه المستحيل

أقارن بين الشباب والشيوخ فأرى كفة الأولين أرجح ، فالشباب يفتقرون إلى الحنكة وخبرة الحياة وهذا ما يُكْتَسب بطول العمر . أما الشيوخ فينقصهم الحماس والثقة التى لا حد لها وهذا ما فقدوه إلى الأبد

الحياة كالمرأة ، لكي تنـال رضاها يجب أن تفعل من أجلها كل شيء

الكبر فى الرجل زراية وفى المرأة وقاية

إذا رأى الثور مظاهرة من الجماهير تهتف بطلب الحرية

رد على باحث فاضل

بين الغرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

تثبت فى شىء غير قليل من الامعان والتدبر ما كتبه « باحث فاضل » على صفحات « الرسالة » أخيراً تحت عنوان « بين الشرق والغرب » تعليقاً على ما جاء فى المقالين الأول والثانى من مقالاتى فى الردّ على ما أثاره صديقنا الأديب النابغة « فليكس فارس » من اعتراضات استمدها مما قاله فى مناظرة جرت له معنا منذ عام أو أكثر ، وذلك فى صلب مقال نشرته له « الرسالة » وجهها لفنان مصر « توفيق الحكيم » بمناسبة ما كتبه عن الشرق والغرب فى قصته « عصفور من الشرق » .

وقد راعنى من كتابة باحثنا الفاضل تخبطه فى أمور لا أعتقد أن لها سبباً غير ضعف كفاية التأمل والقياس العلمى عند الجيل الحاضر من كتاب العربية ، فقد انساق باحثنا إلى مواقف ما كان ليقفها لو كان التأمل والقياس عنده اكتملت أسسهما من المنطق العلمى . والمسألة بعد لم تخرج بينى وبين باحثنا المفضال عما كان بيني وبين الصديق « فليكس فارس » ، خصوصاً وأن الكثير من أجزاء مقال الباحث مقتلمة من المادة التى جابهنا بها مناظرنا « فليكس فارس » ، والتى كانت مقالاتنا فى « الرسالة » بياناً مفصلاً لزيفها ، وأنها لا تثبت لكى تقف على قدميها لترجح رأياً . لأنها تحمل في طياتها أدلة ضعفها . وبعد فباحثنا الفاضل حاول أن يكون فى كتابته منطقيًّا على قدر الامكان، فجاء فى الشطر الأول من تعليقه بكلام يرد فيها كلامنا إلى أصولها الأولى وخطوطها الأساسية ، ويفصل فيها برأى عنده ، هو الحد الفاصل على ما يرى بين اعتقاد له فى الشرق واعتقاد لنا فى الغرب .

والمسألة لم تخرج عن كونها قضية إن احتملت الجدل من ناحية المنطق الشكلى من حيث هو إدارة الكلام فى صور من الأقيسة لأثبات وجهة من النظر معينة، إلا أنها من ناحية الواقع لا تحتمل الجدل ؛ ذلك أنهـا أولية من الأوليات التى تنزل من مواضعات فكرنا الحديث من حيث لقح بالمنطق العلمي . ونحن فى ردنا على ما أثاره باحثنا الفاضل من اعتراضات ظنها تقوّمُ وجهة نظر فى تفاضل الشرق على الغرب ، فاننا نرجو أن نفصل الكلام بعد فى موضوع الغرب والشرق موجهين البحث إلى وجهه الصحيح بعد أن تشعب وطال باعتراضات استلزمت ردوداً منا وكلاماً .

وأول شىء ننظر فيه مع باحثنا المفضال فى أساس المفاضلة ، وهل تقوم على أس من شطر العالم إلى شرق وغرب كما هو فى تقويم البلدان . أما باحثنا فهو يرى هذا ، فلكل من الشرق والغرب عنده عادات وطبائع تباين الأخر ، ولقـد اتسع مدى هذا التباين حتى ألبس العقلية فى كل منها مظهراً خاصاً تميزت به عن الآخر . » ونحن من جهتنا نتفق إلى حد ما مع مفهوم هذا الكلام ، ولكن نقطة الافتراق أننا نرى طابع العقلية الانسانية كان يتأثر فى كل من الغرب والشرق في عصور التاريخ بمد وجزر العقليتين الشرقية والغربية فى حالة جزر ، ويقابل ذلك مد من جهة العقلية الشرقية فان عوالم من الغرب كانت تدخل فى منطقة المد الشرقي فتتأثر بطابع العقلية الشرقية ، وأحياناً

والاستقلال — ظن أنهم جائعون يطلبون الملف والشعير وهكذا لا يعرف الجاهل من الحياة إلا أنها أكل وشرب :

آه . ما أسهل أن ينصح الانسان غيره ولكن ما أصعب أن يعمل هو بهذه النصائح :

الوفاء . الشرف . الأمانة . فضائل يكثر التحدث بشأنها والتحسر عليها والنعى على المجتمع لاغفاله أمرها، وماذلك إلا لأن هؤلاء الذين يتحسرون عليها لا يذكرونها إلا إذا كانوا هم فى حاجة لأن يعاملهم بها الآخرون، أما عندما تطالبهم هذه الفضائل بالعمل بها فانهم يشيحون عنها بوجوههم ثم ينسون أن غيرهم لا يفعلون إلا مثل ما فعلوا

الحب شيطان جميل

قل لمن يطلبون الراحة فى الحياة . مهلاً فانها تنتظركم ولسوف تملونها ... هنالك فى القبر

« القاهرة » محمد فهمى

كان يحدث العكس . إذاً فيجب أن نكون محتاطين في قبول الأساس الجغرافي في تقسيم العالم إلى شرق وغرب . لأن الشرق كان يمتد في بعض عصور التاريخ فيشمل بقاعاً من العالم الغربي ، كان يصل إلى سفوح جبال البرانس بأسبانيا وسلسلة جبال الكرابات والطونة في البلقان ولمبارديا في إيطاليا ، كما أنه كان يتقلص في بعض العصور فينحسب إلى الصحراء العربية في الشرق الأدنى والصحراء الكبرى في أفريقيا . وهذه مسائل ملحوظة من التاريخ لا تحتاج إلى بيان ، فمن هنا يتضح أن كلامنا عن التفرقة بين الشرق والغرب إلى ما يمكن له من طابع للغرب وطابع للشرق أدق ما يمكن أن يكون أساساً لبحث الفروق الكائنة بين طبيعة العقل الشرق وطبيعة العقل الغربي . والموضوع بعد ذلك راجع لمفهوم الشرق والغرب من علم تقويم البلدان ، ولكن ليس بالصورة القاطعة التي تستخلص من التحديد الجغرافي الصرف ، وإنما على وجه من يتفق والواقع الملموس .

وبعد فيتبين أن ما حارفيه باحثنا الفاضل في تحديد لفظي الشرق والغرب من كلامنا واضح ليس فيه موضع للبس أو غموض أو إبهام . أما أنه يرى بعد هذا كله أن كلمتي الشرق والغرب مجهولتا المعنى والتحديد في كلامنا ، فلسنا نرى لكلامه هذا وجهاً ، وهو الذي بعد أن انتهى من تلخيص رأينا في طبيعة العقلية الغربية وطبيعة الذهنية الشرقية ذهب يقول : (إلى هنا أحسن الكاتب صنعاً — يعني بذلك دراستنا لطبيعة العقلين الشرق والغرب — ولو أنه لم يتعد مدلول هذا، يعني بذلك أننا لو وقفنا عند هذا الحد ولم نعمل على كسب تحليلاتنا العقلية صفة الشعبيات لكان بحثه (بحق) أوفى ما يكتب في بحث مظاهر العقليات) ولسنا نعرف كيف يتفق رأيه في اعتبار بحثنا أو فيما يكتب بحق في بحث مظاهر العقليات من حيث تتناول الفروق الكائنة بين طبيعة العقل الشرق والعقل الغرب مع قوله إن مفهومي الشرق والغرب بقيا مجهولي المعنى في كلامنا ...

إذن لنا أن نصرف النظر عن هذا الكلام الذي يخترمه التناقض والاضطراب ، ولننظر فيما يعنيه علينا من إكسابنا العقليات مظهر الصفات الشعبية ، فهو يرى أن ليس ثمة فرق أساسي بين طبيعة العقليات جميعها . وعلى هذا فالصورة الذهنية لكل شعب — عنده — يغلب أن تكون مرآة للشكل المتكون من تفاعل خصائص ذلك الشعب التاريخية مع البيئة . وباحثنا المفضال في رأيه هذا يفترق عنا عند نقطة أساسية ، ذلك أننا نرى أن هنالك فروقاً بين عقليات الشعوب ، فطبيعة العقل الألماني غير طبيعة العقل الفرنسي ، وطبيعة العقلين الألماني والفرنسي غيرها بالنسبة لطبيعة العقل الانجليزي. ذلك أن طبيعة عقل شعب ما ليست سوي خصائص ذلك الشعب منعكسة من مرآة نفسه ...، وطبيعة عقل الشعب يتلون بها العلم تلونا كبيراً ذلك بحكم أن العلم نتاج ذو شكل خاص للعقل الانساني ، وهذه حقيقة تنكشف لمن يتعمق في المسائل العلمية الصرفة . وأنا شخصيا بحكم اختصاصي في العلم الرياضي لي أن أتكلم عن هذه الفروق في مادة تخصصي ، وكل ما لي الآن أن أفعله هو أن أنقل لباحثنا المفضال بعض السطور من كتابنا « الفيزيقا والرياضة والمنطق » الذي نشره غوستاف م . فيشر عام ١٩٣٠ بالألمانية عن ليزبغ ويِنا ، وذلك عن الصفحة ٢١٨ فقد جاء هنالك ما ترجمته :

(إن التمايلين اللذين نلمسهما في علم الرياضة، من حيث رجوع أحدهما بوتيرة سير الاستدلال الرياضي للحدس Intiution والآخر للمنطق logic — مرده ما هنالك من فروق بين طبيعة الذهن الألماني من الجهة الأولى والذهن الفرنسي من الجهة الأخرى .)

وقد جاء في هامش كتابنا هذا تعليق على هذه الفقرة ننقله كما هو مترجماً للعربية :

(أما قطب أن التمايلين الأساسين في علم الرياضة راجع لطبيعة العقلين الألماني والفرنسي وما بينهما من فروق فذلك حقيقة أولية لايتنازع عليها ، غير أنه يجب أن نلاحظ أن هنالك من الرياضيين في ألمانيا من تأثر بالعقلية الفرنسية وطابعها الخاص ، أذكر من هؤلاء شيخ المدرسة التحليلية في الرياضة جوتفريد ويلهلم ليبنتز ، فقد كان المذكور تلميذاً لديكارت ، وكانت عقليته عقلية فرنسية صرفة . أما في فرنسا فهناك قد تأثروا بطرائق العقلية الألمانية نذكر منهم البروفسور شارل هيرميت من دهاقنة العلم الرياضي البحت في القرن التاسع عشر ، والمسألة بعد ذلك راجعة في العموم إلى طبيعة العقلين وخصائصهما .)

وإني لأذكر أنني منذمدة لا تتجاوز ربيعاً واحداً من عامنا هذا كنت في زيارة الصديق حسين فوزي في مكتبه بادارة الابحاث الألمانية، وكان على مكتبه بضعة أعداد من مجلة «نيتشر» الجديدة وفي أحدها وقفت على مقال لعالم ألماني كبير على ما أذكر هو رئيس لمعهد ويلهلم للبحث العلمي يقرر فيه أثر الدم السامي في العلوم الوضعية ، وأنه يجنح إلى صور يعليها من الخيال على العلم فتعرقل سير العلم الصحيح . وهذا كلام إن لم نتفق مع صاحبنا عليه في تفاصيله فلا يمكننا أن ننكر أن فيه من وجهة عامة عنصراً من الحق ، أني من جهة التجريد الذي هو طبيعة الذهن السامي .

إذا صح هذا ، من أن العقليات تكتسب الصفة الشعبية كثيراً على عكس ما ذهب إليه باحثنا الفاضل في تعقيبه على ما كتبناه سقط كل ما أقامه على هذا الوجه من آراء

وبعد فللباحث المفضال سقطات استوجبها عدم تعمقه في مدلول عباراتنا والنظر إلى ما وراء ألفاظها الظاهرة ، فهو يتساءل قائلاً : متى بدأ الانسان يتحسس الخالق في شر مخلوقاته ، أهو الشرق مصريا كان أو أشوريا أو كلدانيا أو عربيا أم بدأ به اليونان والرومان والسكسون ؟ والسؤال على هذا الوجه لا معنى له بالنسبة لنا ، لأن الأصل فيه تحسس الخالق بآثاره في مخلوقاته ، فالخالق هنا أصل والمخلوقات أو الطبيعة فرع . ونحن نقدر أن مثل هذا النظر كان من خصائص العقل الشرقي !.. وليتأمل بعد موضع كلامه باحثنا المفضال !...

غير أن السؤال لو وضع في صيغة أخرى تتفق مع نظرة العقلية الغربية للأشياء لكانت إفادته : متى بدأ الانسان النظر في الطبيعة ؟ ومتى انتهى من نظرته هذه إلى الخالق ؟ أهو الغربي أم الشرق نظر على هذا الوجه ؟ فان السؤال يستقيم له إجابته من أن مثل هذه النظرة من خصائص العقلية الغربية

والواقع أن باحثنا الفاضل يلزمنا عسيراً مثل هذه الاعتراضات ووجه العسر أنها تضطرنا أن نعيد القول ونكرره ونتكلم في الأوليات

ووجه آخر من أوجه اعتراضات الكاتب ، ذلك قوله : إذا كان الشرق قد أدخل العنصر الروحي في تقدير المعاملات بين الناس فهل يتنافى ذلك مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ؟

لا ... أيها الباحث ! ولكن قبل كل شيء يجب أن تنتبه إلى هذه الحقيقة وهو أننا لم نقل إن الشرق يدخل عنصراً روحيا بين الأشياء حتى تنحلنا هذا الرأي ، وكل ما قلناه إن الشرق يدخل العنصر الغيبي في الأشياء لأن نظرته غيبية acculte فجعلتها أنت العنصر الروحي ... وشتان بين العنصرين ، وأين كلامك من كلامي هذا !...

ثم مسألة أخرى ... قلنا إن الغرب اتجاهه في النظر للأشياء البدء من العالم المنظور ، أعني عالم الطبيعة ، وهو ينتهي منه إلى العالم غير المنظور إن كان هنالك ثمة وجه لمثل هذا الانتهاء . ولكن باحثنا الفاضل يتساءل متى بدأت هذه العقلية في الغرب بحثها عن الخالق عن طريق الطبيعة ، وهو يجيب أن الشرق هو الذي سبق الغرب بمثل هذا الاتجاه ، وما كان الغرب إلا مقلداً لها ومتأثراً بها وبأسبابها . وهذا وهم عريق في الخطأ ، وناحية الخطأ أن الباحث الفاضل توهم أن معنى النظر في العالم المنظور والبدء منه أن ينتهي منه الانسان للعالم غير المنظور . والمسألة لم تخرج عن أن صاحبنا ينظر لكلامي من ناحية عقليته الشرقية وهنا موضع الداء في كلامه

« البقية في العدد القادم » اسماعيل أحمد أدهم



التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٢٨ —

وكان على الرئيس ورجال حكومته بعد قرار التحرير أن يبذلوا غاية جهدهم ليضعوا حداً لتلك الحرب ، فان انتصار أهل الجنوب معناه القضاء على كل شيء، فبه تصبح الحرية مجرد أمنية وتصير الوحدة ضرباً من الوهم ...

ولقد انقضت تلك السنة الثانية للحرب والجنوبيون أرجح كفة ، ففيها أرغم ماكيلان كما رأينا على التراجع وكان من رتشمند عاصمة الجنوب على بضعة أميال ، وفيها حلت الهزيمة بالقائد بوب وهو يدافع عن طريق العاصمة الشمالية ، وكذلك انتصر الجنوبيون فى الميادين الغربية ؛ ولقد كان مرد تلك الانتصارات إلى كفاية قوادهم وحسن نظام جنودهم ...

وفى نهاية تلك السنة حل محل ماكيلان فى قيادة الجيش المرابط على نهر بوتوماك ، فى طريق العاصمة ، قائد آخر هو بيرنشيد ؛ ولقد برهن هذا القائد الجديد على كفايته فى بعض الأعمال الحربية من قبل ، ولذلك اتجهت الأنظار إليه فى مركزه الجديد ، وراح أهل الشمال يعلقون الآمال على تغيير القيادة ، أن كان قد ألقى فى روعهم أن ما حل بهم من الهزائم فيما سلف إنما يرجع إلى سوء تدبير ماكيلان ...

ولكن فى الجيش عدد كبير من الجند قد آلمهم أن يفارقهم قائدهم أو أن يحال بينهم وبينه على هذا النحو ، لذلك لم يحسنوا لقاء القائد الجديد أو لم يشعروا تحت رايته بما كانوا يشعرون تحت راية ماكيلان من حماسة

وزحف القائد الجديد على رأس جيش ليحتل فردريكسبرج على الضفة الأخرى للنهر ، حيث كان يرابط لى قائد الجنوبيين العظيم ؛ ووقف القائد الشمالى تجاه خصمه يفصل بينهما نهر بوتوماك ، وقف ينتظر أن توافيه هناك تلك المعابر المتنقلة التى لا بد له منها ليعبر النهر ولكن المعابر وصلته متأخرة فاستطاع خصمه القوى أن يحصن المرتفعات حول المكان ، فلما أخذ يعبر النهر هو وجنوده انصبت عليهم النيران الحامية من كل صوب ، ونظر القائد فاذا كثير من جنده حوله صرعى لا يقل قتلاهم عن الجرحى ، فكان لا بد أن يتراجع وكانت هزيمة جديدة تضاف إلى سلسلة الهزائم فى ذلك العام المشئوم ...

وحمل الجرحى إلى وشنجطون فضاقت بهم المستشفيات حتى لقد حول عدد كبير من الكنائس وغيرها من الأبنية إلى أمكنة للجرحى ، وطافت النذر بالمدينة ، وانعقدت فى جوها سحب الغم مركومة سوداء ، وأخذت الناس غاشية من الحزن ورجفة من الذعر زاغت لهما الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ...

وأخذت الأنظار تتجه إلى البيت الأبيض وليس فيها من معانى الأمل بقدر ما فيها من معانى اللوم والغيظ ، وكأنما كانت ترف من حوله أرواح القتلى فتلبسه كآبة وتشيع فيه ما يكرب النفوس ويؤلم الصدور ...

وأخذ يظهر فى العاصمة حزب جديد ترمى أغراضه إلى وضع حد لهذه الحرب بأية وسيلة ، وألفى الرئيس نفسه بين تيارين ، فهنا من ينادون بوضع حد لتلك المحنة ، وهنا من يطلبون إعادة ماكيلان إلى القيادة والسير فى الحرب ولكن فى سرعة وحمية وإقدام ، وغير هؤلاء وهؤلاء قوم يطالبون بتغيير القواد والبحث عن وسائل جديدة تكفل النجاح ، وقوم آخرون خيل إليهم أن الفرصة قد سنحت لهم لاعلان رأيهم فى مسألة تحرير العبيد وكان رأيهم ألا يمس ذلك النظام بما يغير من أصوله ...

وترامى إلى الناس فضلا عن مزعجات الحرب وشائعاتها أن المجلس التشريعى منقسم بعضه على بعض ، وأن مجلس الوزراء نفسه قد شاع الخلاف بين أعضائه ، ورأى الناس مما يشاع ويذاع أنهم على حافة الكارثة ...

ولكن السنديانة ثابتة على رغم العاصفة لا تنال الريح العاتية شيئاً من ثبوت أصلها وسموق فرعها . أو لم يك فى الغابة منبتها

وكان فيها غذاؤها وريها ؟ . . . أجل ، إن رجلا واحدا هو الذى بقى أمام هذه الشدة رابط الجأش صارم العزم قوى الايمان، وذلك هو الرجل الذى ألقت عليه الأقدار عبء قومه دون غيره من الرجال فكانت كأنما اختارته عن بينة مما تبيت وتدبر !

وقف ابراهام عزيزاً لا يهون ، صلبا لا يلين ، بصيرا لا يطيش حلمه ، أميناً لا يخون العهد الذى قطعه على نفسه ، مؤمنا لن يقعد حتى يتم رسالته أو يموت ... وكان موقف الرئيس هذا هو كل ما بقى للقضية من عناصر القوة ... ولكن أية قوة لعمرى هى أعظم وأبقى من تلك القوة ؟ ألا إن الظروف التى بالغت فى قسوتها على الاتحاد وأنصاره قد عوضتهم من جهة أخرى خير العوض بأن جعلت على رأسهم ذلك الرجل العظيم ...

وليت شعرى ماذا كان عسيا أن يحدث من أول الأمر لو لم يكن على رأس البلاد هذا الذى درج من بين أدغالها ؟ بل ماذا كان عسيا أن يحدث فى هذه الآونة الدقيقة التى لم يكن للبلاد فيها من عاصم إلا الصبر كأعظم ما يكون الصبر ؟ وأى صبر هو أشد وأبلغ من صبر ذلك الطود الراسخ الأشم ؟

وكان من قواد الحرب يومئذ قائد يدعى هوكر وهو فى المرتبة الثانية من بعد بيرنسيد ، راح فى ذلك الوقت يذيع فى الجند أن البلاد أشد ما تكون حاجة إلى ديكتاتور يقضى على المنازعات ويرغم الأحزاب أن تحبس هذرها وتدفن خلافها ، وأن الجيش لن يقوده إلى النصر إلا مثل ذلك الرجل الذى يقبض بيد قوية على أزمة الأمور فى الدولة وفى الميادين جميعاً ! ... ولقد ذاعت أفكار هوكر حتى لقد اجترأ ضابط كبير أن يعلن « أن الجيش وعلى رأسه ماك الصغير يستطيع أن يطهر المجلس التشريعى والبيت الأبيض » ... قالها فى غير تحرج وإن كان قد ألقى القبض عليه من أجلها ...

وكتب لنكولن إلى هوكر يعاتبه على ما يذيع من أفكار ويحذره العاقبة ويعينه قائداً لجيش بوتوماك ، ومما جاء فى خطابه قوله : « إنك لن تستطيع أنت ولا نابليون — إذا قدر له أن يبعث — أن ترجع بخير من جيش هذه هى روحه ... ألا حذار من التعجل ، حذار من التعجل ، ولكن أقدم فى نشاط وحمية لا تخبو واكسب لنا النصر »

انتهى العام الثانى لهذه الحرب الهائلة ، وقد لاقى الشماليون ما لاقوا من الهزائم ، ولاقى الرئيس من عنت الظروف والرجال ما لاقى ، وحل العام الثالث فلاقى الرئيس فى مستهله وفود المهنئين بالعام الجديد وباليوم الذى يحل فيه موعد التحرير ، والرئيس مشغول بالحرب وما تتطلب من الرجال والمال ... وها هو ذا يعلق الآمال على ما عسى أن يفعل هوكر ويسأل نفسه ترى ماذا سيكون نصيب القضية فى هذا العام

وزار الرئيس ميدان القتال على نهر بوتوماك وقضى هناك أسبوعاً يشرف بنفسه على الجيش ثم عاد إلى العاصمة يمنى نفسه بالفوز الذى يضع حداً لهذا القلق الذى تزايد حتى عم الرجال جميعاً

وتحرك جيش بوتوماك فى إبريل من تلك السنة ولكنه مالبث أن هزم هزيمة منكرة فى شانزلورزفيل ، بعد أن أبلى فى المعركة بلاء حسناً أول الأمر ... ثم انقطعت أخبار الجيش عن العاصمة بعد الهزيمة حتى بات الناس فى حيرة شديدة ... ورضى لنكولن من الغنيمة بالإياب ، فكان يمنى نفسه أن يعود الجيش إلى موقفه الأول فيمنع الطريق إلى العاصمة . . . وأخيراً وصلته رسالة من القيادة أن الجيش قد عاد إلى موضعه ، ولقد تسلمها الرئيس وقرأها فتندت جفونه ، وهو يقول لمن حوله من أصحابه : ماذا عسى أن يقول الشعب ؟ ماذا عسى أن يقول الشعب ؟ واشتد به الغم حتى ما يفلح كلام فى الترفيه عنه ...

وركب الرئيس وجماعة من صحبه زورقاً بخارياً إلى حيث يرابط الجيش، فاستطلع واستفهم القائد عن سبب الهزيمة ثم رجع إلى المدينة وقد عقد النية على أمر ... أعلن الرئيس ما يشبه الأحكام العرفيـة ، فحد من حرية الصحافة ومن حرية القول ، وأنذر من يعمل على عرقلة قضية الاتحاد أنه سوف يقدم إلى المحاكم العسكرية لتنظر فى أمره ، ولم يعبأ الرئيس فيما فعل بالنقد الشديد يوجه إليه من كل جانب ، فلقد كان مستنداً إلى أحكام الدستور الذى يخول له أن يتخذ عند الخطر ماتتطلبه مصالح البلاد من الأحكام

وحل الورق محل الذهب والفضة فى المعاملة إذ كانت الحكومة فى حاجة إلى المال لتنفق منه على هذه الحرب الضروس ، ولقد التجأت من أجلها إلى القرض . . . وعمت الضائقة حتى شملت الناس جميعاً وهكذا ظهر للناس أن هذا العام الجديد أشد هولاً مما سبقه

ولكن هذه الشدة لم تأت بالغرض منها ، فلقد وجد أعداء الحرب وأعداء القضية فيها فرصة لنشر آرائهم ، وسرعان ما تألفت في نواح كثيرة من البلاد جمعيات سرية تعمل على مقاومة الرئيس وحكومته بكل ما يمكن من الوسائل

وجهر فريق من ذوى الرأى والمكانة بمقاومتهم هذه السياسة ومن هؤلاء ولندجهام وهو نائب عن أهايو فى المجلس التشريعى .. ولقد أخذ هذا الرجل يعمل فى نشاط وقوة على معارضة كل مشروع فى المجلس يراد به نصرة قضية الحرب ، وفى خارج المجلس راح يطلق لسانه فى الرئيس بكل فاحش من القول فتارة يسميه « الملك لنكولن » وتارة يسخر من ذلك الرجل الذى يريد « أن يخلق الحب بالقوة ، وأن ينمى شعور الأخاء بالحرب » وتطرف ذات مرة فهتف بسقوطه فى مجتمع احتشد فيه عدد من الديمقراطيين الذين أعجبوا به

وكان برنسيد يقود الجيش فى الجهات التى تقع فيها أهايو مدينة ذلك النائب ، ولقد أعلن القائد أن كل شخص يعمل ضد الحرب وقضية الاتحاد جزاؤه أن يقدم إلى محكمة عسكرية لينال عقابه على يديها ... ورد ولندجهام على هذا بخطاب حماسى احتشد الناس فى تلك الولاية لسماعه ودعا الناس إلى رفض هذا القرار وعصيانه ؛ ولم يسع القائد إلا أن يقبض عليه ويسوقه إلى المحكمة العسكرية فقضت بحبسه فى أحد الحصون هناك ...

وارتفعت الأصوات بالاحتجاج على هذا الفعل الذى يتجلى فيه خنق الحرية ، فغير لنكولن حكم الحبس بالنفى إلى خارج مناطق النفوذ الشمالى ، وأرسل ذلك النائب المتمرد إلى الولايات الجنوبية فى حراسة نفر من الجند

تكاثفت السحب واكفهر الجو ، ولم يعد يرى الناس بصيصاً من نور الأمل ، فيئسوا من النصر ، وتحرجت الأمور حتى ما يعرف لنكولن نفسه ماذا يفعل ! ... ألا هل من قائد يكسب معركة واحدة فيعيد الرجاء إلى النفوس ، والأمن إلى الخواطر ، والعزم إلى القلوب ؟

إن هزيمة الشماليين فى شانسلورزفيل كانت أقسى ما لاقوا من المحن ، حتى لقد عد مايو وهو الشهر الذى وقعت فيه الهزيمة شر الأيام هولا فى تاريخ تلك الحرب الأهلية الكبيرة ... ولقد كانت خسائر الشماليين فى تلك المعركة بعد ما ذاقوا من الهزائم من قبل ، مما يثبط الهمم ويحل العزائم بينما خرج منها الجنوبيون ولم يخسروا كثيراً اللهم إلا إذا ذكرنا خسارتهم الفادحة بموت قائدهم جاكسون الذى خر صريعاً من رصاصة طائشة أصابته من يد أحد جنوده ...

ها هو ذا الرئيس يفكر ويدور بعينه يتلمس القائد الذى يفلح مسعاه بعد أن خابت مساعى الفواد ... ألا من له بهذا القائد ؟ من له بهذا القائد ؟ ... ولكن أين جرانت ؟ إنه هو الرجل ، وإن قلب الرئيس ليلتفت إليه فى هذه المحنة كأنما يلتفت من إلهام . لقد برهن جرانت على كفايته فى بعض المواقع وإن لم تكن بذات بال ، وحسبه النصر فيها على أى حال ، ولعله لا يتخلف عنه النصر إذا ألقيت على عاتقه القيادة فى غيرها من المعارك الكبيرة ... لقد استطاع أن يستولى على حصنى هنرى ودونلسن على نهر المسيسبى فى فبراير من عام ١٨٦٢ سنة الكروب والهزائم واستطاع كذلك أن يحمل الجنوبيين فى أبريل على التراجع فى معركة حامية حدثت فى أبريل من تلك السنة

وكان الرئيس لا يعرف جرانت معرفة شخصية ، ولكن هاتيك الانتصارات فى أوقات عز فيها النصر تنم عن كفاية ، وتدل على بطولة ، وإن عين الرئيس البصيرة لتستشف من وراء تلك الأخبار الرجل المرجو ... وإذا فليرسل الرئيس إليه وليعطه الراية ولينتظر النصر على يديه

ولكن بعض الرجال يأتى إلى الرئيس من أنباء ذلك الرجل أنه بابنة المنقود مولع حتى ما يفيق منها إلا قليلا ، فاستمع إلى الرئيس وقد هداه قلبه الذي لايكذبه ودلته بصيرته التى لا تخطئه ، استمع إليه يقول لهؤلاء الناس « أرجو أن تدلونى : أى نوع من أنواع الويسكى يشرب ذلك الرجل لأرسل منه دنا لكل قائد من قوادى الآخرين » !

أيقن الرئيس أن سوف تنقشع السحب ويتنفس الناس الصعداء ، فلئن لم يكن لهم إلا ثقتهم فى رجلهم ، لقد امتدت عيناه البصيرتان إلى القائد الذى يكون فى ميادين القتال مثل إبراهام فى البيت الأبيض ، رشيدا لا يزوغ بصره ، قويا لايكل عزمه ، ثابتا لا يخف حلمه ، حكيما يعرف ما يأخذ مما يدع ، جريئا مؤمنا يرى الحياة الحقيقية فى أن يموت فى سبيل مبدئه ...

« يتبع »

الخفيف

خطرات في الحياة والموت

عند رؤية جمجمة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

رحيقك يا كأس النهى والمشاعر ... ومهبط سر الله بين السرائر (١)
أكأس الحجا أين الرحيق ترشفت ... علالاته نشوى النهى والبصائر (٢)
أجرعة ثغر من الموت ظامئ ... طوى ما طوى من فطنة وخواطر
حوتها عوادي الدهر إلا أقلها ... إذا خط لفظ في بطون الدفاتر
بدا الناس جيلاً بعد جيل كأنهم ... تهاويل سحر أو سمادير ناظر (٣)
وما تدرك الألباب منهم عديدهم ... إذا استجمعتهم بين ماض وحاضر
كأن لم يكن منهم إذا الموت غالهم ... وميض الثنايا أو بكاء المحاجر
ولم يعرفوا الآلام تحسب أنها ... ستخلد في جسم إلى الموت صائر
فأين مضت أحقاد قوم كأنها ... لهيب جحيم خالد في السرائر
وأين ولوع بالجمال كأنه ... زعيم بتخليد الوجوه النواضر (٤)
وأين فعال يحسب الناس أنها ... على جبهة الأيام من وشم قادر
وأين جيوش دكت الأرض خيلها ... مضت حيث لا تمضي خواطر شاعر
وأين الغزاة الفاتحون وقد بدوا ... كما تبعث الأشباح نفثة ساحر
فهل أنت ممن قد جنته سيوفهم ... وداسته خيل تحتها بالحوافر
أم ازدان تاج قد لبست بحكمة ... بها اسطعت تصريف الصروف الدوائر
وهل أنت ممن دبر الشر لبه ... وأحكم زهو النفس جر الجرائر

(١) الخطاب موجه إلى الجمجمة والمراد بالرحيق رحيق الفكر والادراك
(٢) كأس الحجا أي الجمجمة
(٣) التهاويل: الصور والرسوم والنقوش، والسمادير ما يرى الوسنان أو الأعشى من الأشباح
(٤) زعيم بكذا: أي كفيل به

أم الخير ما حنت إليه نوازع ... لديك وإن لم تحتقب خير غادر (١)
لقد كنت وكر اللب لو أن عاديا ... من الموت لم يهبط عليك بكاسر (٢)
بك ارتاع مسعود إذا ارتاح يائس ... بذكرى الردى يرجو علالة صابر
قد اختلف الأقوام في العيش والردى ... فمن ظافر يهوى الحياة وخاسر
هنيئاً لكل ما يرى من علالة ... بحسن حياة أو بنجوى المقابر
وما عللت نفس الفتى بمنية ... ستطوى هموم العيش طي الدساكر (٣)
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه ... فيعدو على البؤسى بذكرى الغوابر (٤)
بذكرى الحتوف الجاليات على الورى ... من الراحة الكبرى أجل البشائر

عبد الرحمن شكري

(١) احتقب: ادخر أو حمل معه يقال احتقب خيراً أو شراً
(٢) الكاسر: الطائر المفترس والمراد بوكر اللب الجمجمة والوكر عش الطائر
(٣) الدساكر: جمع دسكرة وهي في هذا المعنى بيوت للهو والشراب وتأتي بمعنى القرى الصغيرة
(٤) البؤسى بياء في آخر الكلمة البؤس
(تنبيه) في قصيدة (جنون الأقوياء) الصواب ما أتوه لا ما أتون وقسوة وحش ويقسو لا قوة ويقوى، والنحل لا النخل

أطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من: مكتبة الرفد، شارع الفلكي بباب اللوق
ومن: المكتبات العربية المشهورة

الليل

للأديب حسن حبشي

أيُّها اللّيلُ: أيُّها الكاهنُ الصا — متُ مِنْ فَجْرِ عُمْرِكَ الوَسْنانِ
نَشَأَتْ فى ظِلالِ صَمْتِكَ أحْلا — مِي فكانَتْ كالزَّنْبقِ الغَيْسانِ
وا كتَسَتْ مِنْ جَلالِ رَوْعَتِكَ الكُبْرى
تَهاويلَ حُسْنِها الفتّانِ
وَتَبَدَّتْ كغادةٍ نَسَجَ الحُسْـ — نُ لها تاجَ رِقَّةٍ وَحَنانِ
شاعَ في النَّفْسِ نورُها، وَمَحا لأْ — لاؤُها ظُلْمَةَ الفؤادِ العاني
أتُراها يَدُ المَسيحِ أزالَتْ — كلَّ يأسٍ مِنْ خاطِري المِدْجانِ؟
كم سُكُونٍ يَفُوحُ بالعِطْرِ رَفّافاً
وبالشِّعْرِ والهَوى الرَّيّانِ
ولَكَمْ فيكَ نَغْمَةٌ رَقَصَ القَلْبُ
لها هاتِفاً بِشَتّى المعاني
أتُرى هذهِ النُّجومُ نوافيسٌ — بمِحْرابِ أُفْقِكَ الفتّانِ
من بَناهُ وَشَعْشَعَ النُّورَ فيهِ — ساحِرَ الحُسْنِ فِتْنَةَ الأذْهانِ
أيُّهذا الظَّلامُ يا أُفُقَ العُمْـ — رِ، وَيا مَعْبَدَ الأماني الحِسانِ
إنّما أنتَ هَيْكَلٌ جَمَّ الظَّنُّ — عَلى بابِهِ جَهُولَ البَيانِ
لم تَطَأْ قدسَ أرضِهِ أو تَجُبْهُ — غَيْرُ أوهامِ شاعرٍ فَنّانِ
نَظَمَ الحُبَّ والجمالَ نشيدًا — وَقَّعَتْهُ يَدُ الهوى في الأغاني
وتغنّى يا ليلُ فى صَمْتِكَ المُشْـ — جِي طَروباً بمُسْكِرِ الألحانِ
بَعْدَ ما حَطَّمَتْ هَواهُ المَنايا — وَرَمَتْهُ بِكالِحاتِ الأماني
وطَوى صَفْحَةَ الشَّبابِ على كُرْ
هٍ، وأغْضى على شَباةِ السِّنانِ

حسن حبشي

إلى صاحبة السمو الأميرة فريال

بسمة المنى

للأستاذ ابراهيم مأمون

يا ابنةَ التاجِ مِنْ أبيكِ مثالٌ — هو فى الصَّيد مَضرِبُ الأمثالِ
هو وحيُ السماء فى نهضة الديـ — ن نمته جلائلُ الأعمالِ
عصم الشعبَ من نيوب العوادى — وأعزَّ الحمى بالاستقلالِ
ولدى مَهْدِكِ الطهورِ رسومٌ — هي غرسُ الندى ونَبْتُ الكمالِ
أنجبتكِ العُلا وظلّكِ الطهـ — رُ وما زلتِ فى أعف ظلالِ
وغدت مصرُ فى رحابِكِ فِرْدَوْ — ساً لولدانها، وللأطفالِ
انظروا ضاقَ المبرّة يمتـدُّ — فيكسو طفولةَ الأقلالِ!
فاض نورُ المهاد حتى كساهم — نضرةَ النورِ ضافيَ الأذيالِ
بين أيديهم الأمانيّ تسمى — فى ثغور المنى وحسن المآلِ
خطروا أمسِ بالبلاد يطوفو — ن ومن نورهم سنا الإجلالِ
فإذا مصرُ من سناهم نعيمٌ — وإذا هم مطالعُ الأقبالِ
لو رأيت الجنانَ قلتَ هم الولـ — دانُ، أو هم فرائدٌ وغوالِ
هبة الله للمليكين «فريا — لُ» فأنعمْ بما حبا ذو الجلالِ

* * *

يا ابنةَ التاج: خلف ركبكِ ركبٌ — حولَه الدهرُ والملوكُ موالى
فاملئي المُلْكَ مِنْ أريجِ المعالي — واجعلى المهدَ غابةَ الأشبالِ
كتب الله أن يعزَّ بك الطهـ — ر وتعتزّ صاحبات الحجالِ
نهض الدينُ بالفتاة قديماً — وسقي الوائدينَ كأسَ النكالِ
فاحشرى الدينَ فى ظلالك يصطا — ف وفي الدين أعظم استقبالِ
ربّما كنتِ كالبتول مكاناً — تضربينَ الأبطالَ بالأبطالِ
ربما كنتِ مريمَ ابنة عِمرا — ن تَحُلّين فوق كل منالِ
حفصة الأمس سايرتْ أبويها — ومشى الدين خلفها فى احتفالِ
حفظتْ عزةَ الكتاب من الدهـ — ر وصانته من يد الأهوالِ



احمد زكى باشا والرافعى

فى المقال رقم ٤٢ من مؤلف الأستاذ محمد سعيد العريان فى « مصطفى صادق الرافعى » أن « زكى باشا (شيخ العروبة) كان على نية إعداد معجم لغوى كبير قبيـل وفاته ، وكان للرافعى فى إنشاء هذا المعجم أثر ذو بال ، وفيه فصول كتبها الرافعى بتمامها وأعدها للامضاء »

والذى أعرفه حق المعرفة ، للصلة التى كانت بينى وبين احمد زكى رحمه الله ، أن ذلك المعجم كان مجموعة من الجزازات على الطريقة الافرنجية ، وهى الطريقة التى حذقها احمد زكى دون غيره من أهل اللغـة عندنا فيما أعلم . وقد اتفق لى غير مرة أن أنظر فى هذه الجزازات فكانت من خط أحمد زكى أو من خط كاتبه الخاص . هذا وقد وقع لى أن أطلع على مسودات القليل المدون من هذا المعجم ، فاذا الخط خط احمد زكى . ذلك ما أعرفه وربما غابت عنى أشياء ، أو ربما كان احمد زكي يستشير الرافعى كما كان يستشير غيره من المشتغلين باللغة ، وليس فى ذلك مغمز .

أما حديث المقالات التى كان يكتبها الرافعى يمدح فيها نفسه ثم يستدرج احمد زكى إلى توقيعها فمن الغريب أن يمدها الأستاذ العريان مما انتحله احمد زكى وهو من تأليف الرافعى .

والحقيقة أن هذه المقالات مما أراد الرافعى، لسبب فى نفسه ، أن ينسبه إلى أحمد زكي .

ب . ف

الأستاذ محمد محمود باشا

قال صاحب المقام الرفيع الأستاذ محمد محمود باشا رئيس الوزراء فى خطبته الغراء فى الاسكندرية[1] : « نحن الآن نجتاز (أوقاتٍ) ملأى بالأحداث والعبر » . وصاحب المقامات المشهورة أبو محمد الحريري فى (ملحة الاعراب) يقول :

(١) يوم رفع الستار عن تمثال الخديو اسمعيل

والجيراء فيأتنا نهـــاها ... وأشاحتْ عن شِرعة الجهّال
نِصفُ دين السماء يُؤخذ عنها ... ومِن الله والنبيّ أمالى !
أنتِ فى الدين ينهن وفى الحر ... ب لجندرك فى صفوف القِتال
قد حشدْنا لدى الزفاف الفراء ... ين وركب الملوك والأقيال
وسألتُ البيان ترديد ما قا ... ت فأغضى ومااستجاب سؤالى
وإذا بى أجيل فى مولد الطه ... ر قصيداً فى عزة وتعالي
سوف ألقاه بالقصيد حَفيا ... فوقَ ماتعهدُ الأغى من الأقوال
والبيان الموهوب لا يعرف العو ... نَ ، ولا ملجأ إلى التسآل
أنا لا أعرف الخواطر تنسا ... ب سواء ولا اتفاق المقال
ربّما تجمع السباقَ المذاكى ... ولكلٍ ميزاته في المجال !
ربما يعرض الأديب أديباً ... فتراه كناحت التمثال
والدرارى وإن نُظِمن عقودا ... مَيّزتهنّ قدرة اللآل
والقوافى إذا اتحدن بحوراً ... ضل فيهن سابح الأوشال
فتياتِ البلاد قد بسم الده ... ر وزالت فوادح الأغلال
هذه مصر ترتجيكنّ للمج ... د وحمل اللواء غــير أوال
إيه ثَبّتْن للحنيف لواء ... وأزِنَّ الطريق بالأعمال
واستعِذْن التاريخ فى صحف الغيـ ... ب كما كان فى السنين الخوالى
تلك «فريال» فى التقى فتمشيـ ... ن إليها على تُقًى واعتدال
واتخذْن الكتاب فى نهضة الشر ... ق دليلاً تُزِلْنَ كل اعتلال

* * *

يا مَليكَىْ كنانة الله فى الكو ... ن رسا الملك فى أصول الجبال
فاهنأ نهنأ البـــلاد بفريا ... ل مدى العمر فى السنين الطوال
طلعتْ مطلع الجلال على الشر ... ق فكانت لمصر أيمنَ فال

ابراهيم مأمونه

وكل ما كسّر فى الجموع كالأسْد والأبيات والربوع
فهْو نظير الفرد فى الاعراب فاسمع مقالى ، واتبع صوابى

وقال الناظم فى الشرح : « وفى جمع التكسير ما يوجد فى آخره ألف وتاء فيتوهم المبتدئ[1] أنه من قبيل جمع المؤنث السالم الذى لا تفتح تاؤه فى النصب ، وذلك مثل أبيات وأقوات وأموات فهذه الجموع الثلاثة من نوع جمع التكسير ويدخل تاءها النصب »

والأستاذ محمد محمود باشا من الفصحاء المعربين إذا خطب . وكان الشاعر العظيم (أحمد شوقى) يقول لى : « إنه من المشغوفين بالعربية » لغة آبائه الكرام العرب ، وقد صادق الأستاذ الرئيس — ولم يماد كدأب كثير من عمال السلطان — كتب اللغة والأدب . والكبير المشهور تقلده الناس مخطئاً ومصيباً ؛ ومن أجل ذلك كتبنا هذه الأسطر القارئ

(١) المبتدئ فى ذلك الزمان فى اللغة مثل أستاذ فى كلية أو جامعة اليوم .

دار العلوم وكلية اللغة العربية

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الكريمة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قرأت — بإعجاب يمازجه الشكر — ما كتب تحت العنوان الآنف ، فى عدد الرسالة رقم ٢٨١ ، وشاركنى فى عرفان هذا الجميل كل أزهرى .

وقد أتاح لى إعلانَ هذا الشكر ما كتبه حضرة (ع . ح . خ) فى العدد (٢٨٣) رداً على الكلمة السالفة ، إذ أورد حضرته شبهات ليس من الخير أن تمضى بلا جواب .

يرى حضرته أن محاولة المنافسة بين المعهدين آتية من جهة الأزهر ؛ وأنه ليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون فى وظائف التدريس بالمدارس ، دون أن يعين أبناء دار العلوم فى وظائف التدريس بالأزهر ؛ وأن أبناء دار العلوم أجدر بتدريس العلوم الحديثة ، والأزهر يوليها سواهم ؛ وأن دار العلوم فى عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بدراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها ، إلى جانب الدراسة المستفيضة للغة العربية وأدبها ، دراسة تبرئها من الجمود ؛ وأن دار العلوم تنشأ فى كنف الوزارة وعلى عينها . الخ .

وأكبر الظن أن حضرة (ع . ح . خ) هذا لا يمت إلى دار العلوم بنسب قريب ؛ إذ لو كان من صميم أبناء الدار الكريمة لعرف أن فى مختلف المعاهد الدينية : الابتدائية والثانوية ، عدداً ليس بالقليل من أبنائها ؛ يعرفون من حسن زمالة إخوانهم الأزهريين ما ينكره حضرته ، ويشاركونهم فيما لهم وما عليهم ، إلا فى الرواتب ، فان حظ أبناء الدار منها أسعد . وإذا كان حضرة الكاتب يريد بالعلوم الحديثة التى ذكر الجدارة بدراستها : العلوم والآداب ، فجوابه عند حضرة صاحب العزة خالد بك حسنين ورجاله ، لا عند الأزهريين الشيوخ .

فأما كلية اللغة العربية ، فالدراسة فيها إلى رجال من الأزهر يتولون دراسة العلوم الأزهرية فى كتبها القديمة ، يزاملهم صفوة من خير رجال الدار ، على رأسهم أستاذ الأساتيذ : أحمد بجاتى ؛ ويتولون دراسة الانشاء ، وفقه اللغة ، وأدب اللغة ، للفرق العالية ، ويشاركهم بعض من لا يذمون مشاركته من الأزهريين فى الفرق الأخرى .

ويستأثر بالدراسة فى تخصص التدريس رجال من أعضاء البعوث : أبناء دار العلوم وأبناء الجامعة ، لا يشاركهم فيه أزهرى واحد فى كلتا سنتيه ؛ وهم أنفسهم الذين يقومون على تمرين طلابه ، وامتحانهم ، وتخريجهم . فان لم يكن فى كل أولئك ضمان لتبرئة الأدب من الجمود ، فلا أبرأه الله إلى يوم القيامة ... ولئن نامت عين الوزارة عن هذه الجهود المشتركة ، إنها لنئوم . .

ولقد تجنى الكاتب على الأزهريين فى رميهم بالتعدى ومحاولة المنافسة ، كما بالغ فى الآمال التى يبنيها على المعهد الجديد لدار العلوم. ولو راجع ذاكرته ، لذكر أن الاتفاق بين الأزهر والوزارة على حلول كلية اللغة محل دار العلوم بالتدريج ، حديث مفروغ منه . كما أنه لو رمى بنظره بعيداً ، للمح أن دار العلوم الحق تنقرض ؛ وأن المهد الجديد سيميل بها عن مقامها الكريم إلى التعاليم الغربية الجامحة التى تباعد بين القديم الخالد ، وبين ناشئة الأمة ورجال مستقبلها . ومن لنا بدار العلوم ؟ ! !

عذيرك من خليلك من مراد أريد حياته ، ويريد قتلى[1]

وأما بعد ، فان بين الأزهريين وبين الخلص من أبناء دار العلوم من الروابط والصلات ما لا يدفعه تهافت الواغلين ، ونزوات الطائشين ، من أبناء المعهدين : كلية اللغة العربية ، ودار العلوم .

أزهرى

(١) «الرسالة» : روى الأستاذ الكاتب هذا البيت على هذا النحو وهو لدريد بن الصمة وصوابه :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

حول المركزية فى التأليف

قرأت فى الرسالة بتوقيع (م . ا) نقداً لمناهج الأدب وتأليف الكتب للمدارس ، فلا يسعنى إلا أن أصحح ما تورط فيه الكاتب من خطأ قد يكون تلقفه من أفواه النـاس من غير أن يراجع الكتب قبل أن يخط حرفا .

ونحمد الله أن الحملة ليست موجهة إلى المادة العلمية فى الكتب، وإنما هى راجعة إلى اشتراك المفتشين والمدرسين ، ولكن ماذكره الكاتب من أن بعض المفتشين اشترك باسمه فى كتبنا فهو تجن وتحكم. ولوكان فى الوسع أن أقول : كتب فلان وأرشده فلان، وحقق معه المراجع العلمية فلان ، لندم كاتب الرسالة فيما خاض مع الخائضين

وأما كتاب السنة التوجيهية الذى ألفه اثنان من زملائنا فى العام الماضى فهو واحد من الكتب التى اشتركنا فيها ، ومادام الكاتب المقنع قد جار على الحقيقة وظلم الناس ، فأنا مستعد أن أضع أمام عينيه فى إدارة الرسالة نسخة قديمة ونسخة جديدة من التى اشتركنا فيها ، وعليه أن يراجع الموضوعات موضوعا موضوعا القديم منها والحديث ، وأنا واثق أنه سيعود إلى ما كتب بالتصحيح إن كان يقصد وجه المصلحة العامة .

حسنين حسن مخلوف

المعاهد العلمية الاسلامية فى الهند

جاء من عليكرة أن اللجنة العامة للمعارف فى الهند اجتمعت فى جامعة عليكرة الاسلامية للنظر فى تنظيم التعليم فى الهند . وقد بسط الدكتور ذاكر حسين للجمعية برنامجه الخاص بالتعليم وهو يلخص فى أن تجعل الحكومة التعليم مجانياً وإجباريا فى المدارس الابتدائية للأولاد لمدة ثمانية أعوام وللبنات لمدة ستة أعوام ، وأن يفرق بين البنين والبنات فى المدارس المشار إليها ، وأن تكون لغة التدريس فى كل مدرسة لغة المقاطعة التى فيها المدرسة، وأن يتعلم التلميذ صنعة يدوية أو فنية ، وأن ينشأ فرع لاخراج المعلمين من الطلبة المسلمين ، وأن تساعد الحكومة المدارس الأهلية، وأن يكون التعليم الدينى إجبارياً فى المدارس

ومن أنباء كلكوتا أن رئيس وزراء البنغال السيد فضل الحق رأس حفلة افتتاح المدرسة الاسلامية العليا فى كلكوتا . وقد ألقيت خطب ترحيب عديدة من منـدوبى المدارس الاسلامية فرد رئيس الوزراء وقال : إن الضرورة كانت تقضى بفتح مدرسة لتعليم لغة الأوردو وأثنى على الثقافة والأدب البنغالى . وتألف بعد ذلك موكب سار مع الوزير إلى باب المدرسة ففتحه السيد فضل الحق بمفتاح من الفضة

بين مصر ولبنان

حضر الأستاذ السيد محمد عمر منيمنه مدير الكلية الشرعية على رأس بعثة الكلية لمصر؛ وقد وفق لأخذ قرار مجلس الأزهر الأعلى بمعادلة شهادة الكلية الشرعية الثانوية الأزهر ، وأدخل خمسة طلاب فى كليات التخصص فى الأزهر، وثلاثة فى دار العلوم العليا ، وواحدا فى جامعة فؤاد بكلية الآداب .

والأستاذ محمد عمر منيمنه مدير الكلية الشرعية يسعى لدى المراجع الرسمية لتكون الكلية الشرعية فى بيروت مشمولة بالرعاية الملكية والمعاضدة السامية الخاصة فندعو له بالتوفيق ...

الاذاعة المدرسية وتفاهة المكافآت

أشرنا مراراً إلى الجهود الجبارة التى تبـذل فى جميع الممالك الغربية ولا سيما انجلترا من أجل الاذاعة المدرسية ؛ وأشرنا مراراً إلى الميزانية الضخمة التى تمدها انجلترا سنويا لهذه الاذاعة ونحن هنا فى حاجة إلى ستين إذاعة — لا غير — ثلاثون منها للمدارس الابتدائية والثلاثون الأخرى للمدارس الثانوية ، وكلا الاذاعتين صالحتان لجميع السكان غير التلاميذ — فلو أن الوزارة جعلت مكافأة الاذاعة الواحدة جنيهين لكان المبلغ المطلوب لهذه الاذاعات الستين مائة وعشرين جنيها ... ولكن وزارة المعارف تقول: لا لا ! هذا المبلغ يرهقنى ! اجعلوا مكافأة الاذاعة الواحدة خمسين قرشاً فأدفع لكم عن الاذاعات الستين ثلاثين جنيها ، وأنا لا يهمنى أن تنفق انجلترا على إذاعاتها المدرسية تسعين ألف جنيه فانها دولة غنية وهى تعنى بالتربية الصحيحة أكثر منى !

ومع ذلك فالوزارة تطمع فى اشتراك كبار رجال التربية فى الاذاعة المدرسية ولو بالمجان !

بين الإسلام واليهودية

كتب إلينا الدكتور م . ه . يقول : إن ما يبديه العالم الاسلامى اليوم من روح العداء لليهود يخالف تقاليد الاسلام . فقد ظل اليهود خلال القرون العصيبة آمنين فى حمى المسلمين بالأندلس وتركية ومصر وسورية، وذلك لقوة الرابطة بين العرب واليهود فى أصل الجنس وأصل الدين وأصل اللغة وأصل الوطن . وكان الأحرى بأبناء العم أن يعطفوا على السامية المضطهدة فى بلاد الدكتاتوريات القائمة على عصبية الجنس واللون ومجافاة الانسانية والدين ...

ونحن نؤكد للدكتور م . ه . أن ليس بين المسلمين واليهود إلا فلسطين . ونقصد باليهود هنا الصهيونيين الذين يريدون أن يجعلوا من فلسطين وطناً قومياً لهم على حساب العرب . أما اليهود المصريون والعراقيون وغيرهم ممن لا يدين بالصهيونية، ولا يساعد على هذه اللعبة الانجليزية، فانهم يعيشون مع المسلمين فى كل مكان على وفاق تام وأخوة شاملة

اللغة الأجنبية ومعلمو اللغة العربية

جاء فى الأهرام بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨ تحت عنوان (تنفيذ خطة الاصلاح فى معهد دار العلوم) أنه قد « استقر الرأى على إنشاء قسم لتعليم اللغات الأجنبية وآدابها لخريجى دار العلوم على أن تكون الدراسة ليلية . وسيذاع فى الأيام القادمة بيان بأغراض هذا القسم ونظام الدراسة فيه ، على أن يبدأ العمل فيه من منتصف الشهر الحاضر »

وهذا إصلاح جدير بالثناء يتقبله خريجو الدار بنفوس راضية مطمئنة متشوقة إلى الكمال ، راغبة فى الاستزادة من العلم . فاللغات الأجنبية الآن من أعظم مناهل الثقافة فى العلوم والآداب؛ وهم شديدو الرغبة فى ورود مناهلها ، ولديهم الاستعداد للاستفادة منها، حتى تجدى عليهم فى أدبهم ورسالتهم التى يودون أداءها على أحسن الوجوه وأكملها

ولكن ليس كافياً أن تفتتح الوزارة قسما لتعليم اللغات الأجنبية وآدابها ، وتنادى المعلمين : هلموا إلى هذا القسم ، فاذا هم إليه يوفضون ، ومنه يستفيدون مادة جديدة ؛ ثم إذا هم يصدرون عنه وقد حمدوا الورد والصدر ، ورووا نفوسهم من معينه ، وتحببوا رياً من نميره ؛ وإذا هو أصبح طيب الأثر لديهم عظيم الجدوى على علمهم وأدبهم وصناعتهم

لا . ليس هذا كافياً ، بل لابد أن تنظر الوزارة إلى الموضوع من ناحية أخرى : تلك هى أنهم ينوءون الآن بعملهم ، فلا يتوقع لهم أن يصلوا إلى الفائدة المرجوة ما لم يجدوا الوقت فسيحاً يمكن لهم من إتقان عملهم الأصلى أولاً ومن التحصيل المثمر ثانياً

إن المعلم الابتدائى مثلا يقوم بتدريس ٢٤ حصة فى الأسبوع؛ وقد يكون لديه عمل إضافى كمكتبة المدرسة ، فيشغل نفسه بالتحضير والتدريس والتصحيح وغير ذلك من الأعمال الاضافية ؛ ثم لا يجد وقتا للاستجمام وتجديد المعلومات والاطلاع على ما يجد من البحوث ؛ مع أنه كان أولى من غيره بالبحث والاطلاع والانتاج ؛ ولكن عمله الأصلى يأكل وقته ويلهيه عن العناية بشأن نفسه ، بل يورثه الكلال والأسقام

كنا فى لجنة امتحان لا تزيد على عشرة معلمين من خريجى دار العلوم ؛ ولعل القارئ يأخذه العجب إذا علم أن ستة من هؤلاء كانوا على الطعام يتناولون أدوية تساعد على الهضم وتنظيم عمل المعدة وهم فى سن تعد عند غيرهم سن الشباب ؛ ولكن الذى خبر المهنة وأحس متاعبها يعجب كيف لا يصطحب العشرة جميعهم قارورات الدواء إلى مقر الامتحان !

إنى لأعرف كثيرا من معلمى اللغة العربية أقبلوا على تعلم اللغة الانجليزية حتى نالوا منها قسطا كبيرا جديرا بأن يفيدهم لو بقى فى نفوسهم ، وهيهات أن يبقى مع تتابع أعمالهم المرهقة

وهذا واحد منهم تعلم ستة أشهر بمدرسة أجنبية ، وحصل من اللغة الانجليزية فى هذه المدة القصيرة ما لم يحصله التلميذ فى ثلاث سنوات . أتدرى ماذا من أمره بعد ذلك ؟ لقد قضى سنة يتردد على أطباء العيون والمعدة والأسنان والمفاصل والأعصاب . أما ما عرفه فما لبث أن استحال ضبابا غائما ، ثم تصاعد بخاراً ذائبا

إذا كانت الوزارة تعتزم الاصلاح حقا ، فلتتخذ الوسيلة لذلك بتخفيف العبء عن معلمى اللغة العربية ؛ ولتجعل أقسام اللغة الأجنبية فى المدن الكبرى متعددة ليسهل على كل معلم أن يرد القسم القريب من مسكنه ؛ حتى يحفظ وقته ، ويحصل أكثر ما يستطاع

ولا يجولن بخاطر أحد أن المعلمين يرجون التخفيف بطرا وتجنيا . لا بل إن كل نقص فى الكم يقابله تحسين وتجويد فى الكيف . فلتسلك الوزارة السبيل القاصدة تحمد غبها وتجد خير النتائج إن شاء الله

مدرس

حول بيت للكميت بن زيد

قرأت فى العدد ٢٨١ من مجلة (الرسالة) الكريمة ما كتبه الأستاذ البحاثة الشيخ عبد المتعال الصعيدى عن « الكميت بن زيد ، شاعر العصر المروانى » وقد ورد فى هذا الفصل بيت من هاشمية الكميت الميمية ذكر الأستاذ أن الشاعر قاله فى بنى هاشم وفى خصومهم بنى مروان ، ورواه على الوجه التالى :

ساسة لا كمن يرعى (؟) الناس سواء ورعية الأنعام

وإذا ما رجع حضرته إلى هاشميات الكميت بتفسير أبى رياش أحمد بن إبراهيم القيسى (١) المطبوعة فى ليدن عام ١٩٠٤ م بعناية المستشرق جوزيف هوروفتس (٢) ، رأى هذا البيت على وجهه الأصلى الصحيح كما نذكره :

ساسة لا كمن يرى رعية النا س سواء ورعية الأنعام

هذا ما أردت تبيانه وعرضه على الأستاذ الصعيدى عن طريق (الرسالة) الغراء والسلام ...

« الأعظمية — بغداد » (ص)

موقف مصر تجاه فكرة العروبة

تلقينا بعد الفراغ من طبع هذا العدد مقالا لصديقنا الأستاذ الجليل ساطع بك الحصرى وجهه إلى الدكتور طه حسين بك رداً على ما جاء فى الحديث المنسوب إليه فى جريدة المكشوف البيروتية حول موقف مصر من فكرة العروبة ، فأرجأناه مضطرين إلى العدد المقبل

فرنسس برت بنج والحياة المدرسية

لخصنا للقراء آراء برنرد شو وبريستلى ومس دى موربير فى المشاكل المدرسية التى استفتتهم فيها مجلة عالم المدرسين الأنجليزية ، وقد نشرت المجلة فى عددها الأخير رأى الأديب الكبير فرنسس برت بنج ، وأهم ما ذكره الأستاذ هو أسفه على أنه بدأ تحصيله كبيراً وشكا من ضعف حافظته ، واعترف بما كان لترجمة الأنجيل الأنجليزية من الأثر العظيم فى توجيهه الأدبى . . . ثم أنكر أثر مدرسيه فيه ... وإلى هنا يتفق أولئك الأدباء الأربعة فى هذه النقطة ... ولم يخصص كتاباً كان له فيه أثر يذكر ، بل كانت كل الكتب لديه سواء ، وذلك أنه كان يقرأ منهوماً لا يبقى على شىء ولا يفضل شيئاً على شىء . . . ونحن نعلل ذلك بمزاجه الدينى الفج ، وإن يكن اليوم من أكبر الأدباء الأنجليز . . . وقد أوصى المدرسين أن ينموا قوة الملاحظة فى تلاميذهم وأن يحببوا إليهم الحياة بكل ما فيها على أن يعرفوا حقائقها . . . ولم ينكر الجمع بين الجنسين فى المدرسة إلى الرابعة عشرة واستحسن التفريق بعد ذلك ، فيكون برنرد شو هو وحده الذى لم ينكر الجمع بعد هذه السن مع أنه أكبر أدباء العالم الأحياء سنا. ونفى بنج ما يتهم به تلاميذ هذا العصر من الفظاظة والغرور ومحبة العيش على هامش الحياة . واستحسن أن يعمم التعليم الابتدائى لكل التلاميذ على أن يكون مرحلة أولى فى تثقيفهم ؛ وحبذ تعليم الخط على أن يكون مادة مستقلة ؛ ثم أنكر أن يعلم التلاميذ المواد الجافة التى لا تصلها بالحياة العملية صلة المنفعة .

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الكاتب

ابى العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

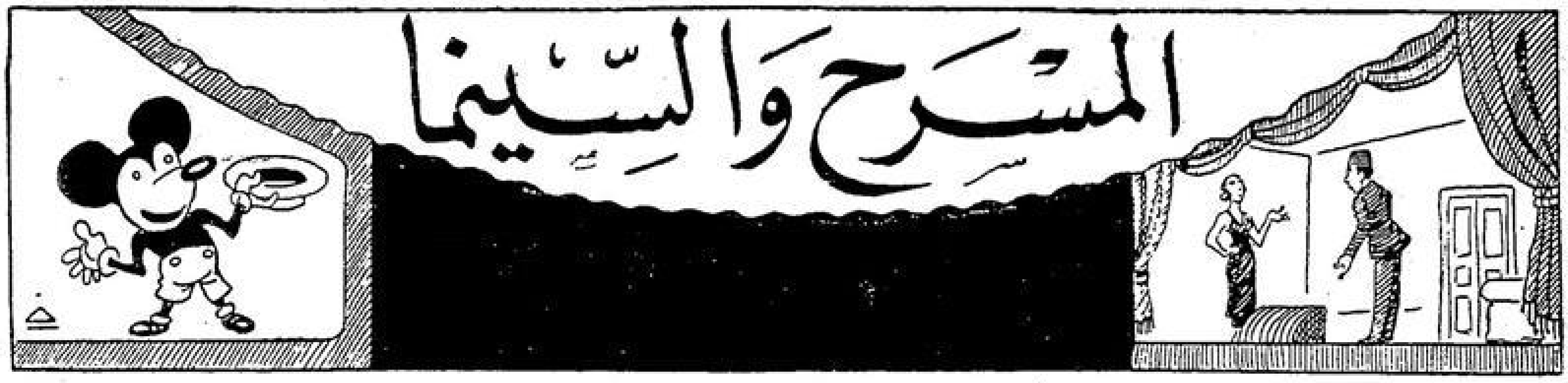
ثمنه ثلاثون قرشا غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع فى قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

(١) ص ١١

(٢) لعل هذه الطبعة التى بين يدى من الهاشميات هى التى أشار إليها الدكتور زكى مبارك فى كتابه « المدائح النبوية فى الأدب العربى » ص ٧٣ بقوله : (تلك منزلة الكميت عند القدماء فان سألتم أين منزلته فى العصر الحديث فانا نذكر أنه آخر من يهتم به أساتذة الأدب فى المعاهد العلمية . وقد سبق المستشرقون إلى إحياء شعره فطبعوا هاشمياته فى ليدن سنة ١٩٠٤ وكتب لها أحدهم مقدمة وتصحيحات باللغة الألمانية)



الفرقة القومية

مديرها ولجنة القراءة

كلمة عن رواية طبيب المعجزات

أرجو ألا يداخل مدير الفرقة شك في تجنبنا الشخصيات فيما نكتب، سواء أكان أصحابها من رجال الادارة أو لجنة القراءة أو اللجنة العليا أو طائفة الممثلات والممثلين أو غيرهم، لأن لكل شخصية في نظرنا حرمة وكرامة، ولأننا جميعاً سنزول، أما الفرقة القومية للتمثيل فستبقى، لأنها في نظر الحكومة التي أنشأتها، وفي نظر النواب والشيوخ الذين يعتمدون ميزانيتها، وفي نظر الأدباء الذين يغارون عليها، مؤسسة أدبية لها خطرها في الثقافة العامة. فاذا كنا أهملنا اسم الأستاذ عضو لجنة القراءة الذي تحدث إلينا حديثه الشائق (؟) ونهمل أيضاً ذكر اسم حضرات الأساتذة الذين أدلوا إلينا بآرائهم؛ وإذا كنت تعمدت إخفاء اسمي الصريح عن القراء والاستعاضة عنه «بابن عساكر» فلكي أستبعد كل مظنة، وأنفي كل شبهة أو تأويل، ولأبرز قدر المستطاع رغبات الغيورين على الفرقة، الراغبين في حياتها حياة تتواءم ونهضتنا الأدبية، الوجلين أن يدب إليها سوس الهرم وهي في المهد، فتنالها الشيخوخة بعدوى من روح شيوخها القائمين عليها

هو ذا غرضنا بأوضح تعبير. فاذا طاب لمدير الفرقة — وهو وحده المسؤول عنها — ألا يحمل دعوتنا إياه إلى رؤية خلايا الفساد تنتشر في جسم الفرقة، على محملها الصحيح، أو إذا أحب أن يغضب فيعمد إلى استدعاء محرر باحدى المجلات كما فعل فيقول له في سياق الحديث: «لقد يصل بي الأمر إلى أن أعطل الفرقة وأقفل أبوابها وأقدم تقريراً إلى وزارة المعارف أقول فيه إن التجربة قد فشلت» إذا طاب له ذلك فهو وشأنه، ولكننا نستبعد إقدامه على تنفيذ تلك الفكرة، فهي فضلاً عن أنها تثير الضحك، تهدم جميع ما بناه في سني حياته الأدبية. ثم هو يعلم جيداً أن وزارة المعارف لن توافقه على إلغاء الفرقة القومية بجرة قلم استرضاء لخاطر مديرها الموتور من تألب أدباء البلد وفنانيها عليه، وتفكههم في مجالسهم بتصرفاته الدالة على بُعده البعيد عن فن الرواية والمسرح، وأنه أُقحم على هذا الفن إقحاماً لا مبرر له

نعود الآن إلى أحاديث أعضاء لجنة القراءة فأقول: لقد تفضل حضرة الأستاذ .. فأجاب على سؤالي بقوله: «مهمة لجنة القراءة هي قراءة الروايات التي تقدم إليها وفحصها من جميع النواحي، أعني النواحي الفنية، والخلقية، والاجتماعية، واللغوية؛ فاذا أجازتها فذاك وإلا رفضتها. على أنه قد يكون في بعض الروايات عيوب من ناحية من هذه النواحي ممكن علاجها. وحينئذ ترد إلى المؤلف أو المترجم ليعالجها طوعاً للملاحظات التي تبديها اللجنة، ثم ترد إليها لترى إذا كانت صالحة بالعلاج أم لا»

سألت: هل لرأي النقاد المسرحيين قيمة في نظر اللجنة؟ فأجاب «ليس للنقاد المسرحيين رأي في النواحي التي ذكرناها (كذا) وإنما لهم رأي من ناحية الاخراج، كمعدات الاخراج، وطول الروايات وقصرها عن الوقت المناسب، ونحو ذلك مما يتعلق بعملهم الفني البحت (؟؟!!) أما أن الروايات قيمة أو ليست قيمة، أو مناسبة أو غير مناسبة، فمن عمل اللجنة وحدها» ثم أردف قائلاً «لم أر إلى الآن في مصر نقداً فنياً قوياً يستطيع أن يسقط الروايات أو يعليها، وكل الذي رأيت محاولات أولية من هذا القبيل. وهب أنه كان هناك نقد قوي فأعضاء اللجنة نقاد أيضاً (كذا) فلنا رأينا كما لهم رأيهم

هذا من جهة النقاد الفنيين، أما من جهة جمهور النظارة فقد يخالف حكمه حكم اللجنة فيقدر تقديراً عالياً رواية حكمت اللجنة أنها متوسطة، أو يحكم عليها بأنها متوسطة وقد حكمت اللجنة

عليها أنها راقية . وسبب ذلك أن الجمهور قد يقدر الروايات من نواح غير فنية ككثرة ما فيها من فكاهات ، أو لأن مغزاها قريب التناول ، وهذا لا يظهر إلا بعد أن تكون اللجنة قد أصدرت حكمها من قبل . ومع هذا فاللجنة تستفيد من رأى الجمهور فيما لا يعجبهم وما لا يعجبهم ، وكل هذا يؤثر عند نظر اللجنة فى الروايات المقبلة لا فى الروايات التى أصدرت حكمها عليها

قلت : هل معنى كلامكم أن اللجنة تؤثر حكم الجمهور وتستفيد من رأى الجمهور ولا تأبه لرأى النقاد ؟

فأجاب : « لا ، من غير شك . يجب أن يكون رأى النقاد الفنيين فى المقام الأول لأن منزلتهم منزلة الخبراء ، ولكن قلت لك إننى فيما قرأت لم أر نقداً قوياً إلا فى القليل النادر ، وما عدا ذلك فدح مفرط من غير أسباب فنية ، أو ذم مفرط لأسباب شخصية غير فنية . والرأى الواجب الاحترام هو ما يصدر من فنيين راقين ينقدون الفن للفن . وإذا حدث ذلك ، وقليلا ما يحدث ، أحللناه المحل الأول من الاعتبار وقدرناه أكثر من تقدير الجمهور » قلت : هل لاحظتم تقدماً فى تأليف الروايات خلال السنوات الثلاث ، لأنى أزعم أن الروايات التى مثلتها الفرقة فى عامها الثالث أحط منزلة من الروايات التى مثلت فى السنتين الثانية والأولى ؟ فقال :

« من غير شك لاحظتم هذا التقدم خصوصاً عند ما قرأنا الروايات التى قدمت للمسابقة الأخيرة . نعم إننا لم نجد روايات حازت المكافأة الأولى ، ولكننا رأينا روايات ظهرت فيها القدرة الفنية ، وظهر فيها حسن السبك ، وحسن الحوار ، وإذا قارناها بالروايات التى قدمت فى ظروف أخرى قبلها رأينا هذا التقدم محسوساً »

قلت : ما رأيكم فى رواية ردتها لجنة القراءة إلى مؤلفها غير مرفقة بأسباب الرفض رأفة به ، ثم أعيد تقديم تلك الرواية المرفوضة بعينها إلى اللجنة مع ما تقدم إليها من روايات للمباراة ففازت وأعلن فوزها مع أنه لم يتغير فيها سوى اسم مؤلفها الشاب باسم فتاة ، فهل المسؤول عن هـذه « اللعبة » مدير الفرقة أم لجنة القراءة ؟

حدجنى محدثى الفاضل بنظرة الدهشة والاستغراب ، وبعد صمت هنيهة قال : « أحب أن أعرف رأى مدير الفرقة فى هذه الواقعة » فأجبته بأن مهمتى هى استطلاع رأيه هو لا نقل آراء زملائه إليه

لم أحاول الاتصال بالشيخ الثالث من أعضاء لجنة القراءة لأن مهام الحكم أبعدته عنها ، فلم يبق أمامى سوى رابع الشيوخ الأجلاء وقد كنت أؤمل أن يكون بعيداً عن تخبطات زميليه الفاضلين فيما قالاه عن النقد والنقاد وفيما زعماه من نضوج الفكر الروائى السريع ومن تقدم المسرح نحو الكمال ؛ غير أن حضرته أعز الله به دولة الأدب قال لى ما نصـه : « يمكنك أن تقول لقراء الرسالة أو من شئت من الناس إن فلاناً ، وذكر اسمه مجرداً من اللقبين العلمى والحكومى ، لا يريد أن يقول كلمة فى الفرقة القومية » ورأى أن فى إصراره على عدم الكلام هو التهرب ، وهو يتهرب من الكلام عن المسرح الذى طالما تكلم عنه قبل أن يكون لنا فرقة قومية

بقى مدير الفرقة وهو الشيخ الخامس المتمم لأعضاء لجنة القراءة ، وهو ما فتئ يقول للمجلات الأسبوعية إن فرقته ستصل إلى مستوى الكمال بعد حين ، وأنه سيبنى لها مسرحاً من المال المدخر ، وأن الأدباء لا يوالونه بالتعضيد لأغراض ذاتية ، وأن الصحافة لا تأخذ بناصره قبل أخذ ما بخزانته

لم يتيسر لى حضور تمثيل رواية « طبيب المعجزات » والذى أعرفه عنها ، وقد قرأتها قبل عرضها على لجنة القراءة ، أنها تدور حول شاب طبيب انقطع إلى البحوث العلمية فهداه علمه وتجاريبه إلى استنباط إكسير يطيل الحيـاة ويقضى على الموت . تفرح الأمة والحكومة ، وتفرح حماته أيضاً بهذا الاختراع الذى أنقذ البشرية من الموت المكروه ، ورفع مقام صهرها إلى مصاف الخالدين بتخليده الحياة

تجمع الأمة والحكومة على تكريمه ، ثم لا يلبث الحال أن ينقلب عليه لفساد جميع النظم الاجتماعية وتغير الأوضاع وتساوى الحياة فيثور الناس على المخترع المسكين فيعمد إلى قواريره فيكسرها وإلى عقاقيره فيفسدها ليعيد العالم سيرته الطبيعية

وبهذه المناسبة أقول لحضرات أعضاء لجنة القراءة : إن قراءة الرواية شىء يختلف جد الاختلاف عن مشاهدتها تلبس ثيـاب الحياة على المسرح ، وأن لا محيد للقارئ عن خصائص فنيـة مكتسبة وموهوبة تجعل حكمه غير مقتصر على الخلق والاجتماع واللغة فقط

ابن عساكر